شاهد على العصر

فاروق جـويدة

الكتاب: شاهد على العصر/ فاروق جويدة
المؤلف: بطيشة، عمر
النوع: الحوار في الأدب العربي
تصميم الغلاف: جيهان متولي
إخراج داخلي: بثينة عزام
الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١١
عدد الصفحات: ٩٦ صفحة
المقاس: ١٤×٢٠
تدمك:

١ - الحوار في الأدب العربي

صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عبود مصطفى عبود

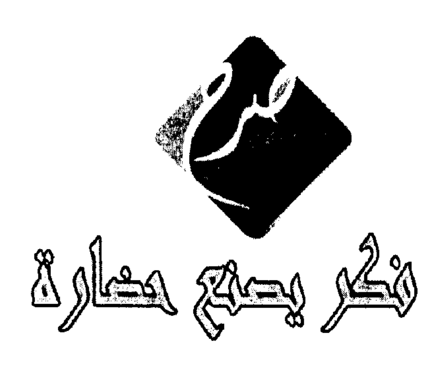
كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ) برج (٢) الدور العاشر.
ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(٢+)
البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com
الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com
رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٤٩١٩
الترقيم الدولي: 978-977-6382-25-1
ديوي ٨١٠,٨٠٢٦

شاهد على العصر

فـاروق جـويدة

مـع

عمـر بطيشـة





الشاعر/ فاروق جويدة

مقدمة الناشر

التاريخ المصري مليء بالأسرار والخبايا، التي لم يكشف عنها أحدٌ حتى الآن؛ ولهذا أسباب كثيرة، ربما يكون منها عدم الإفراج عن الوثائق التي تشهد على الأحداث وضياعها بعد ذلك، على عكس ما يحدث في دول الغرب، حيث تسمح القوانين فيها بالاطلاع على الوثائق بعد مُضيّ فترة من الزمن.

لذا كانت شهادات الشخصيات الكبيرة حول الأحداث التي عاصروها وشكّلوا جزءًا مهمًا من ملامحها مصدرًا مهمًا من مصادر معرفتنا بالتاريخ.

حقًا، قد يشوب الشهادة بعض التحيّز أو عدم الدقّة، لكنها تبقى في النهاية مصدرًا لا نستطيع تجاهله أو عدم الاعتداد به، خاصة إذا قارنّاها بشهادات الآخرين، فربما نخرج منها بحقيقة أو درس مهنيّ أو موقف إنسانيّ يساعدنا على تكوين رؤية واضحة لمشهدٍ ما في حياتنا أو تاريخنا، من هنا كانت أهمية هذه السلسلة التي تحمل عنوانًا دالًّا على مضمونها وهو «شاهد على العصر». فالشخصيات التي معنا قامات مصرية كبيرة، شهدت أحداثًا كانت نقاطًا فارقة ومنعطفات تاريخية

مهمة، لذا.. من المهم أن نتعرف على ما عندهم ولم تذكره الكتب، لكنهم أفاضوه وقصوه مع الإذاعي الكبير عمر بطيشة في برنامجه الشهير «شاهد على العصر». والذي يسعدنا أن تكون مادته بين يديك عزيزي القارئ من خلال هذه السلسلة، بذلك نكون قد ساهمنا بدورنا في توثيق هذه الشهادات حتى يستطيع القارئ والباحث الرجوع إليها وقتما يريد.

وهذه الشهادة -تحديدًا- تزداد أهميتها لكون الشاهد شاعرًا وأديبًا ورجل من رجال الصحافة في نفس الوقت، دخل مضمارها فأعطته من مجدها قلّما تعطي مثله من قرنائه، فسطع ولمع موهبة في المقام الأول وجدية وإخلاصًا وحسن أداء، إنه الشاعر/ فاروق جويدة.


سيرة ذاتية
فاروق جويدة

شاعر مصري معاصر، ولد عام ١٩٤٦، في قرية أفلاطون بمحافظة كفر الشيخ، وعاش طفولته في محافظة البحيرة، وهو من الأصوات الشعرية الصادقة، والمميزة في حركة الشعر العربي المعاصر، نظم كثيرًا من ألوان الشعر ابتداءً بالقصيدة العمودية، وانتهاءً بالمسرح الشعري.

قدَّم للمكتبة العربية ٢٠ كتابًا من بينها ١٣ مجموعة شعريَّة حملت تجربة لها خصوصيتها، وقدَّم للمسرح الشعري ٣ مسرحيات حقَّقت نجاحًا كبيرًا في عدد من المهرجانات المسرحية هي: الوزير العاشق، ودماء على أستار الكعبة، والخديوي.

تُرجمت بعض قصائده، ومسرحيَّاته إلى عدة لغات عالمية منها الإنجليزية، والفرنسيَّة، والصينية، واليوغوسلافية، وكان شعره موضوعًا لرسالات جامعية عديدة، أحدثها في جامعة بكين، وكان موضوعها «أثر العولمة في الشعر المعاصر».

تخـرَّج في كليـة الآداب قـسم صـحافة عـام ١٩٦٨، وبـدأ حياته العملية محرِّرًا بالقسم الاقتصادي بالأهرام، ثـم سكرتيرًا لتحرير الأهرام، ثـم في العـام الثـامن والـسبعين أنـشأ الـصفحة الثقافية، ثم أصبح -بعد ذلك- رئيسًا للقسم الثقـافي ومـساعدًا لرئيس تحرير الأهرام.

اختِير ممثِّلًا لمصر في الأكاديميـة العالميـة للـشعر في فيرونـا، كما أنه مثَّل مصر أكثر من مرة في اليوم العالمي للشعر في فرنسا.

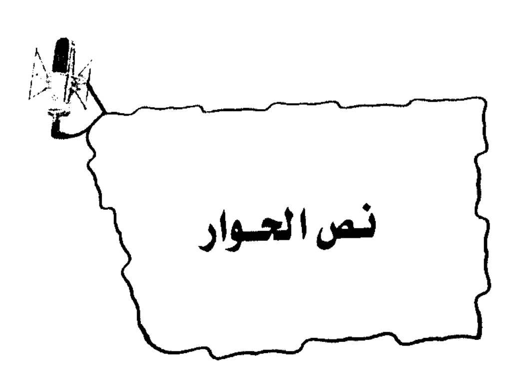
مؤلَّفاته

- أوراق من حديقة أكتوبر (ديوان شعر) ـ ١٩٧٤.
- حبيبتي لا ترحلي (ديوان شعر) ـ ١٩٧٥.
- أموال مصر: كيف ضاعت (اقتصاد) ـ ١٩٧٦.
- ويبقى الحب (ديوان شعر) ـ ١٩٧٧.
- وللأشواق عودة (ديوان شعر) ـ ١٩٧٨.
- في عينيك عنواني (ديوان شعر) ـ ١٩٧٩.
- الوزير العاشق (مسرحية شعرية) ـ ١٩٨١.
- بلاد السحر والخيال (أدب رحلات) ـ ١٩٨١.
- دائمًا أنت بقلبي (ديوان شعر) ـ ١٩٨١.
- لأني أحبك (ديوان شعر) ـ ١٩٨٢.
- شيء سيبقى بيننا (ديوان شعر) ـ ١٩٨٣.
- طاوعني قلبي في النسيان (ديوان شعر) ـ ١٩٨٦.
- لن أبيع العمر (ديوان شعر) ـ ١٩٨٩.

- زمان القهر علَّمني (ديوان شعر) ـ ١٩٩٠.
- قالت (خواطر نثرية) ـ ١٩٩٠.
- كانت لنا أوطان (ديوان شعر) ـ ١٩٩١.
- شباب في الزمن الخطأ ـ ١٩٩٢.
- آخر ليالي الحلم (ديوان شعر) ـ١٩٩٣.
- دماء على أستار الكعبة (مسرحية شعرية).
- الخديوي (مسرحية شعرية) ـ ١٩٩٤.

من قصائده المغنَّاة

غنَّت له سمية قيصر قصيدة بعنوان «في عينيك عنواني»، كما غنى له كاظم الساهر قصيدة «لو أننا لم نفترق»، وقصيدة «من قال إن النفط أغلى من دمي».


نص الحوار



شاهدنا على العصر في هذا الحوار * شاعر كبير، نحلِّق معه في سماء الشعر بقدمين ثابتتين على أرض العصر بحقائقه، ومتغيراته، ومستجداته.

الكاتب والشاعر الكبير الأستاذ فاروق جويدة أهلًا بك شاهدًا على العصر.

أهلًا ومرحبًا.

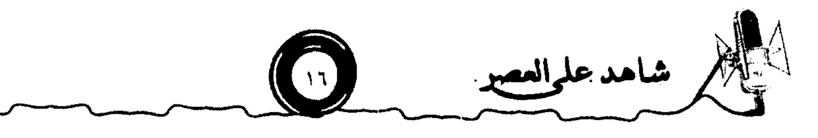
تجربة جيل

تعودنا أن يبدأ شاهد العصر برؤية عامة تنتظم أهم الظواهر، والمعطيات، والحقائق، والمستجدات التي يرصدها في عصر عاشه ويعيشه، فماذا في صدر شهادتك؟

في وجهة نظري أنني لا أمثِّل شخصًا فقط، بل أمثِّل جيلًا بأكمله.. لا أمثِّل تجربة شخص بقدر ما أمثِّل تجربة جيل..

---

* أذيع هذا الحوار عام ٢٠٠١.



جيل مهم جدًا في تاريخ مصر الحديث، الجيل الذي سمَّاه الدكتور مصطفى الفقي[1]: «جيل الطابق المسحور».

بمعنى !

جيل كانت أحلامه كبيرة جدًا، لأنه جيل واكب ثورة يوليو [2]، ومهما كانت السلبيات التي أخذت عليها، إلا أنها كان لها دور كبير جدًّا في تغيير المجتمع المصري، والخريطة الاجتماعية في

---

[1] **مصطفى الفقي**: (نوفمبر ١٩٤٤) سياسي مصري، ولد بمركز المحمودية محافظة البحيرة في سبتمبر ١٩٤٤؛ درس بمدارس دمنهور الإعدادية، والثانوية، ثم كانت دراسته الجامعيَّة في كليَّة الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة عام ١٩٦٦. حصل على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لندن عام ١٩٧٧، ثم التحق بالسلك الدبوماسي فعمل في سفارتي مصر ببريطانيا، والهند.

[2] **ثورة يوليو**: انقلاب عسكري قام به ضباط جيش مصريون ضد الحكم الملكي في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وعرف في البداية بالحركة المباركة، ثم أطلق عليها البعض فيما بعد لفظ ثورة ٢٣ يوليو. بعد حرب ١٩٤٨ وضياع فلسطين ظهر تنظيم الضباط الأحرار في الجيش المصري بزعامة اللواء محمد نجيب، وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام التنظيم بانقلاب مسلَّح نجح في السيطرة على الأمور، والسيطرة على المرافق الجويَّة في البلاد، وأذيع البيان الأول للثورة بصوت أنور السادات، وأجبرت الحركة الملك على التنازل عن العرش لولي عهده الأمير أحمد فؤاد، ومغادرة البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

مصر، والتفكير المصري بصفة عامة، قد تكون هناك مآخذ على التجربة الديمقراطية بالنسبة لثورة يوليو، وأنا من أنصار هذا الاتجاه، لكنني لا أستطيع أن أسقط على الإطلاق دور الثورة في إعادة بناء المجتمع المصري، ونحن من الطبقة التي استفادت من هذه التجربة.

أتقصد مجانية التعليم مثلًا؟

لا، أقصد مجانية التعليم، ولكن أقصد الفرص في الحياة، وأقصد الثقافة، والفكر، والمتغيرات، والأحلام، حتى وإن انكسر بعضها، فمجانية التعليم كانت جزئية بسيطة منها.. لكنني أتكلم عن التغيير الاجتماعي بجوانبه المختلفة في السلوك، والثقافة، والفكر، والرؤى.. كل هذه أشياء لا نستطيع إطلاقًا أن نسقطها من حسابات ثورة يوليو... قد أقف عند ثورة يوليو في قضية الديمقراطية، ومازلت.. لكننا جيل كانت أحلامه كبيرة جدًّا، ولذلك تجد أن المتغيرات التي حدثت كانت للنقائض؛ بمعنى أنك شحنته جدًّا في سنوات الثورة الأولى، وهو طفل، فشاب، فصبي،

وبعد ذلك انكسر في نكسة ٦٧، بعد ذلك حدث متغيِّر أهم وهو انتصار أكتوبر الذي تجاوزنا به هذه المحنة، بعد ذلك دخلت في عملية السلام، وما بين السخونة الشديدة في الحرب، والبرودة الشديدة في قضايا السلام تستطيع أن تستخلص أن هذا الجيل ظُلِم بدرجة ما، على المستوى الثقافي، والفكري.

هذا تلاه نوع من الفصام.

قد تكون الازدواجية الشديدة في الشخصية، بمعنى أنك لم تعطه الفرصة كي يستوعب التغيير، لأن هذا التغيير -خاصة في الإنسان- يحتاج إلى سنوات، ليس فقط قطعة من أرض كنت تزرعها مانجو، فقررت فجأة أن تقطع شجر المانجو، وتزرع كانتلوب.. لا، ليس الأمر هكذا، هذا إنسان يحتاج إلى زمن، وإلى فرصة، وإلى استعادة حسابات.

الجانب الثاني -وليس معنى ذلك أنني أدين الأجيال الأخرى بقلة الانتماء- فهذا الجيل قد ظهر في مناخ وطني فعلًا، فمصر قد تخلَّصت من الاستعمار.. سواء بالحرب، أو بالسلام، ومصَّرت

مشروعاتها الكبرى، وأعادت ترتيب البيت على أسس جديدة، ولم يكن فيها هذا الانبهار الأعمى، الذي أسمِّيه تجربة الغرب.

نعم.

هذا الجيل -أيضًا- هو الذي خاض حروب مصر كلها تقريبًا؛ فهو الذي شارك في حرب ٥٦[٣]، هو الذي شارك في حرب ٧٣، فهو الجيل الذي كان له مساهمة فعالة في مواجهة الظروف التي تعتبر غاية في الخصوصية في تاريخ مصر الحديث.

كل هذه الأسباب تجعلني أنظر إلى هذا الجيل نظرة موضوعية، وأقول: لقد كان جيلًا مميَّزًا جدًّا، ولكن للأسف الشديد لم تستفد مصر منه كما ينبغي.

أ لذلك توافق على تسمية الطابق المسحور؟

---

(٣) العدوان الثلاثي ١٩٥٦: هي حرب وقعت أحداثها في مصر في عام ١٩٥٦م والدول التي اعتدت عليها هي بريطانيا، وفرنسا، وإسرائيل؛ نتيجة لقيام جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس، تُعرف -أيضًا- هذه الحرب بحرب الـ ٥٦.

نعم، أعجبتني التسمية التي أطلقها الدكتور مصطفى الفقي، واستخدمتها مرَّة في إحدى مقالاتي، لكنني أتصوَّر أن الأمور لو سارت كما ينبغي؛ لربما كان لهذا الجيل دور أكبر، وكان من الممكن أن يحقق نتائج أفضل.

تجربة مصر الديمقراطية

حينما ترصد المشهد المعاصر حولك في مصر، وفي العالم في هذه اللحظة، كيف تراه؟، وماذا تقول فيه؟

تزعجني مجموعة أشياء، مازلتُ حتى الآن منزعجًا بصورة كبيرة منها، وهي أن مصر لم تستطع أن تبلور بعد ٥٠ سنة من قيام ثورة يوليو تجربتها الديمقراطية، هذه النقطة تزعجني جدًا؛ لأنني أعتقد -بصراحة- أن مصر جديرة بتجربة ديمقراطية كاملة، وأن الشعب المصري يستحق هذه التجربة، لو نظرنا للتاريخ، أول مجلس شورى نواب في المنطقة كان في مصر، وهو

الذي أنشأه الخديو إسماعيل[٤] الرجعي المتخلِّف..هكذا كنا ندرسه في كتب التاريخ، وهذا غير صحيح؛ لأنه كان من أكثر حكَّامنا تقدُّمًا، ووعيًا، وفكرًا، ورؤى.

الخديو إسماعيل بالتحديد.. أنا أُخرِج من الأسرة العلوية اثنين؛ هما محمد علي[٥]، وإسماعيل، أُخرِجهم خارج سلبيات هذه الأسرة، وإن كانت لها إيجابيات لا نستطيع -إطلاقًا- إنكارها.. الأمانة تقتضي ذلك، وأنا أدَّعي أنني قارئ جيد للتاريخ.

إنجازاته فعلًا واضحة في كل مجال؛ المجال الثقافي، والمعماري، والحضاري ..

(٤) الخديو إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا: خامس حكام مصر من الأسرة العلوية، وذلك من ١٨ يناير ١٨٦٣ إلى أن خلعته إنجلترا عن العرش في ٢٦ يونيو ١٨٧٩. خلال حكمه أعطى مصر دفعة قوية للمعاصرة.

(٥) محمد علي باشا: (٤ مارس ١٧٦٩ - ٢ أغسطس ١٨٤٩)، باني مصر الحديثة، وحاكمها ما بين ١٨٠٥ - ١٨٤٨، بداية حكمه كانت مرحلة حرجة في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر؛ حيث نقلها من عصور التردِّي إلى أن أصبحت دولة قوية يُعتد بها.

بالتأكيد، ولذلك عندما أخرجته من قبره في التاريخ، وعملت مسرحية الخديوي كنت أقصد أن نعيد بعض القيم بعودتنا إلى التاريخ، ووقفتنا مع التاريخ.

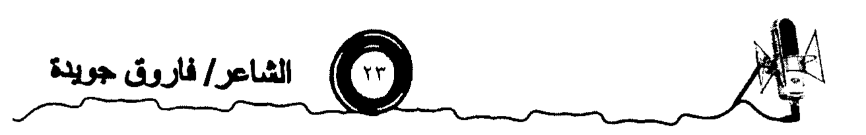
إذن فأنت من المنادين بإعادة قراءة التاريخ..

بالتأكيد.

وبالتالي إعادة كتابة التاريخ..

بالتأكيد، تاريخ مصر الحديث لاشك فيه رموز كثيرة ظُلِمَت بلا أساس، ورموز كثيرة أُنصفت بلا حق.

وما زالت تؤرِّقني تجربة مصر الديمقراطية حتى الآن، على الرغم من وجود سلبيات الديمقراطية -مهما عظمت- فهي لا تتناسب إطلاقًا مع خطايا الديكتاتورية.. في جانب آخر، حسنة واحدة من حسناتها كفيلة بأن تلغي كل شيء.



ظاهرة العولمة، وتنميط العالم على النمط الأميركي

الجانب الثاني في تجربة التجربة المعاصرة.. أنني منزعج جدًّا من العولمة.. البعض يرى أنها انفتاح على الغرب، وأنا أراها عملية احتواء لكنها ذكية جدًّا...

أَهُو الانبهار الأعمى؟

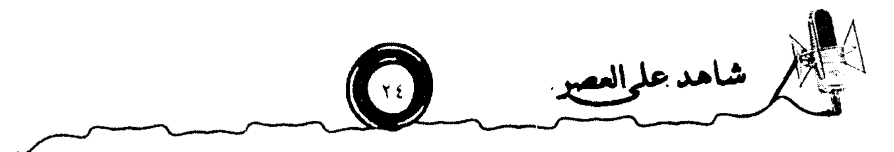
ليس فقط، بل هو سقوط أعمى قد تعدى مرحلة الانبهار..فالانبهار فيه درجة من الوعي، لكن هذا سقوط في سراديب العولمة، مع العلم أنني لست ماركسيًّا[٦] ولا ليبراليًّا[٧].

ومصداقًا لكلام سيادتك فالجميع يرى العولمة على الزي، الحذاء، الشعر، التسريحة، المزيكا التي يسمعها شباب هذا العصر،

---

(٦) **ماركسيٌّ**: نسبة إلى الماركسية، وهي مصطلح يدخل في علم الاجتماع، والاقتصاد السياسي، والفلسفة. سمِّيت بالماركسية نسبة لمنظِّر الماركسية الأول كارل ماركس، وهو فيلسوف ألماني، وعالم اقتصاد، وصحفي ثوري.

(٧) **ليبرالي**: نسبة إلى الليبرالية، وهي مذهب، أو حركة، وعي اجتماعي سياسي داخل المجتمع، تهدف لتحرير الإنسان كفرد، وكجماعة من القيود السلطويَّة الثلاثة (السياسية، والاقتصادية، والثقافية)، وقد تتحرَّك وفق أخلاق، وقيم المجتمع الذي يتبنَّاها.



و الوجبات الجاهزة، كل هذه تعتبر من آثار عولمة نعيشها في حياتنا اليومية.

(●) بالتأكيد، لا يقف الأمر عند هذا الحد في الشكل فقط، بل يتعدى إلى المضمون.. مضمون السلوكيات.

عندما نرى اليوم مظاهرات في أميركا، وأوربا للدفاع عن قضيَّة الشواذ في مصر، وتتهم الحكومة، والقانون المصري بأنها ضد حقوق الإنسان.. فهذا تهريج، وتدخُّل في الشؤون الداخلية إلى أبعد الحدود، ليس هذا تدخُّلًا في الاقتصاد، أوالسياسة، بل يُعتبر هذا تدخُّلًا من الناحية السلوكية، والفكرية على حد سواء.

عندما ترى اليوم مظاهرة للمطالبة بمثل تلك الأمور، وتنفيذها على ضفاف ما يسمونه بمجتمعات الحرية، والأمان؛ فهذا تهريج، وتمويه للأمور، إنني منزعج جدًّا من قضية العولمة هذه، العولمة -بشكلها الاقتصادي كشركات متعددة الجنسيات- طاغوت يريد أن يبتلع كل شيء.... حتى الدول الأكثر فقرًا في العالم، تريد العولمة أن تبتلع مواردها.

العولمة بمفهومها السياسي في هيمنة قوة واحدة تتحكَّم في مصير العالم كلِّه. فأية مشكلة تحدث الآن في العالم يتم الذهاب، واللجوء لصاحب الدكان أميركا -للباب العالي- ..هذا خطأ في تركيبة الكون.

تركيبة الكوكب الأرضي!

ليس في تركيبة دولة من الدول؛ لأن الدول كلَّها تخضع لهذا، إذا كان الثمن أن تستخدم القوة العسكرية في أي منطقة في العالم بقدرتها التكنولوجية المخيفة... حتى الحروب قد افتقدت نبل الفرسان؛ الفرد المقاتل في طيَّارته يقذف بالصواريخ، وهو لا يعرف على من تقع.. أيموت على إثرها الأطفال، أم الشيوخ...إلخ؟، أم أن قذيفته تلك ستهدم مستشفًى، أم ملجأً بالضبط؟.. هذه الحروب قد افتقدت النبل البشري..

حتى نبل الحروب!!

نعم، فهناك إنسانية الحروب؛ لأن الحرب لابد وأن يكون فيها جانب إنساني.. فاليوم على الجانب العسكري،

والسياسي، والفكري هناك هيمنة ثقافية طاغية، أنا لا أعتقد أن لها جذورًا على الإطلاق، فالفرنسيون -مثلًا- يصرخون من هيمنة الثقافة الأميركية؛ لأن أميركا دولة بلا ثقافة.. فهي دولة عمرها ٢٠٠ سنة، أو ٣٠٠ سنة، أي أنَّ أقدم مبنى في أميركا عمره ٢٠٠ سنة، أقدم كاتب فيها عمره ١٥٠ سنة، صحيح أنها تجربة إنسانية كبيرة لا نستطيع أن ننكرها، تجربة مبهرة على المستوى التكنولوجي، والعلمي، تجربة مبهرة على مستوى الحرِّيَّات لأن تحاكم رئيس دولة، وتفضحه على الإنترنت أمام العالم كلِّه، وتحدث له أكبر فضيحة؛ لأنه أوجد علاقة غير سوية مع موظفة عنده.. بالتأكيد هذا نموذج لا يحدث إلا في أميركا؛ لأن هناك كل التناقضات.. تناقض أخلاقي شديد جدًّا، .. فمثلًا في فرنسا لا تجد مثل هذا؛ لأن الرئيس ميتيران [٨] أقعد عشيقته في الإليزيه[٩] ١٥

---

[٨] **فرنسوا ميتيران** (١٩١٦-١٩٩٦): هو رجل سياسة فرنسي، شغل منصب رئيس الجمهورية لفترتين رئاسيتين بين عامي ١٩٨١ - ١٩٩٥، كان ينتمي إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي حيث شغل منصب أمينه العام.

سنة، وأنجب منها بنتًا، ولم يستطع أحد أن يتكلَّم... لكن أميركا مجتمع متناقض جدًّا في تركيبته.. من هذا المنطلق تزعجني تلك العولمة.

تغيير سلوكيات الشعب المصري

كما تزعجني -أيضًا- مجموعة تقارير مثل التي ذكرتَها أنت في كلامك عن السلوكيات الغريبة التي نحن بصددها هذه الأيام.. فنحن لنا قيمنا الثقافية، لنا موسيقانا، وفكرنا، وسلوكيَّاتنا، وتقاليدنا، فهل نسمح -مع وجود كل هذا- بعملية التِهَامٍ جبَّارة لكل تراث الإنسانية.. لسنا المهددين فقط، بل كل الحضارات الأخرى كذلك، انظر مثلًا إلى السيدة التي قدمت رسالة الدكتوراه عني في الصين، لو أنك قرأت الرسالة -وأنا قرأت ملخَّصًا لها؛

---

(٩) **قصر الإليزيه**: هو المقر الرسمي لرئيس جمهورية فرنسا، الذي يضم مكتب رئيس الدولة، ومكان اجتماع مجلس الوزراء، يقع القصر بالقرب من شارع الشانزلزيه في العاصمة الفرنسية باريس، يرجع تاريخ بناء القصر إلى القرن الثامن عشر، وخلال القرون التالية أجريت عليه العديد من التعديلات إلا أنه بالرغم من ذلك قد حافظ على تصميمه الكلاسيكي.

لأنها مكتوبة باللغة الصينية- وهي بعنوان "أثر العولمة في الشعر العربي المعاصر.. دراسة تطبيقية في شعر فاروق جويدة"... هي تتكلم عن أثر العولمة على الثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الصينية كأكبر ثقافتين في العالم، وتقول: «انتبهوا، فنحن على مشارف خطر كبير جدًّا، ليس خطرًا عسكريًا، ولا خطرًا اقتصاديًا.. ولكنه خطر فكري.. خطر ينتزع جذور أمَّة محاولًا أن يهمِّشها، ويهمِّش دورها..

العولمة تخطط العالم، أو تحاول تنميط العالم في خط واحد.

بالتأكيد.. هناك جوانب أخرى تؤرِّقني على المستوى المحلِّي.. تؤرقني تجربة مصر الاقتصادية حتى الآن، فمن أربع أو خمس سنوات كنا -فعلًا- خرجنا من عنق الزجاجة، وبدأنا نتكلم عن رخاء قادم، أو على الأقل استقرار قادم، كان سعر الدولار قد استقر.. كانت مشروعات الخصخصة تسير في سياقها، وبدأتِ الحكومة تعطي دفعة قوية جدًّا للقطاع الخاص، وفي نفس الوقت كان وجود بشائر تنبأ أن التجربة دخلت في منطقة أخرى غير عنق

الزجاجة... أما اليوم فقد عادت الأزمة، والمحنة من جديد تنذر بالرجوع إلى عنق الزجاجة مرة أخرى، هناك خطأ ما قد حدث.. رأينا من رجال الأعمال من يهرب بعدما أخذ كل ما يريد من تسهيلات، ليس الكلام عن البنوك فقط، بل عن الدولة، وتشجيعها لهم؛ فكانوا يحضرون بعض اجتماعات مجلس الوزراء، وكانوا مؤمَّنين إلى أبعد الحدود على اقتصاد البلد، أما اليوم فأين كل هذا؟!.. الكلام عن البنوك، عن قضية البطالة -وهي لغم خطير جدًّا-، عن حالة الارتباك التي تحدث في السياسة الاقتصادية.

هناك ما هو أخطر بمراحلَ من كل الذي قلته، وهو سلوكيات الشارع المصري، لم تعد بترفُّعها القديم، مجموعة الأساسيات التي تحكم حياتنا، وسلوكيَّاتنا، وأخلاقيَّاتنا لا أعرف إلى أين ذهبت.. أنا اليوم أقرأ صفحة الحوادث -في أي جرنال- يعتريني اكتئاب طوال النهار، أقسم بالله عندما أقرأ عن الأب الذي

قتل ابنه، والابن الذي قتل والده، أو الرجل الذي قتل أولاده، وتفنن في قتلهم.. يستحيل أن يكون هذا هو المجتمع المصري.

هل جرائم الأرحام تعتبر جديدة، أم أنها زادت، وهل هي نتاج للتفكك الأسري الذي تولَّد نتيجة تغيُّرات اجتماعية، وثورات كبرى حدثت على مدى نصف القرن الماضي؟

بالتأكيد، فجرائم الأرحام، والأسرة زادت بشكل خطير جدًّا، ما كنَّا نعتادها بهذا الحجم المرعب قبل ذلك.

وهناك جانب اقتصادي، واجتماعي.. وطغيان المادة في حياة الناس جعل كل شيء هيِّنًا في أعين الناس، مثلًا الابن الذي يقتل أباه ليأخذ الشَّقَّة، أين القيم، والمبادئ؛ ومن قبل كل هذا أين الدين؟ فوجود الأب في حياة الإنسان -مجرد وجوده حتى لو كان كهيكل عظمي- شيء لا يُقدَّر بثمن مهما كان..

كرمز.

كرمز فقط ليس أكثر.... أتُضحِّي بهذه القيمة مقابل غرفة، أو باب؟!

ضغط المشكلة السكانية، والزحام الرهيب الذي نعيش فيه بالتأكيد هو أحد العناصر الرئيسية خلف هذه الظاهرة..

هذا خلل لا شك في ذلك، لا يُبرَّر إطلاقًا، لأنه لا يوجد أب -في مجتمع ما- يقدم ما يقدمه الأب المصري لولده؛ البنت في الخارج عندما تصل إلى سن ١٤ سنة تراها تخرج مع ما يسمونه «بوي فرند»، ولا تعرف إلى أين ذهبا، قد يذهبان إلى ولاية ثانية، أما الابن فيعمل.. وإن أراد أن يكمل دراسته؛ فليكملها، وإن أراد أن يتوقف فله الحرية، أمَّا الأب فيسعى لأخذ معاشه إن كان قد وصل لسن المعاش، ومعه السيدة العجوز زوجته بنفس الحكاية ليعيشا بعيدًا عن الحياة كلِّها.

هذا في الخارج..

نعم في الخارج، أما أنت هنا فمطلوب منك أن ترعيَ ابنك وهو طفل، وفي المدرسة، وفي الدروس الخصوصية، وبعد التخرُّج، وفي العمل، وهو متزوِّج وعنده أولاد.

هذا صحيح..

فاليوم لا يوجد أب في العالم يصنع ما يصنعه الأب المصري، ويحمل على عاتقه كما يحمل الأب المصري.

هذا غير تشرُّده، وهجرته خارج مصر

أكيد.

سنوات طويلة.

وتركه للأسرة، وهذا جانب سلبي خطير، مهما كانت العوائد الاقتصادية التي حدثت، لكن غياب الأب عن الأسرة في مصر جعله ضيف، جعل الأبناء يشعرون بغربته عندما يعود... «من هذا الرجل الغريب الذي أتى؟!»، .... هذا هو السبب وراء ما يؤرقني فيما يخص الجانب الاجتماعي في مصر، هناك -أيضًا- بعض الظواهر الاجتماعية الخطيرة جدًّا التي يجب أن نتوقَّف عندها، وللأسف ما عدنا نتوقف أمام تلك الظواهر كما ينبغي، أنا أتأكد أننا لو وقفنا أمام هذه المشكلة الاقتصادية بحسم أكثر منذ بداية ظهورها لما وصلت إلى تلك النتائج السيئة.

ظهرت الحكاية من حوالي ١٠ سنوات، أو ١٥ سنة.. امرأة قتلت زوجها، لا أدري.. أضربَ ابن أباه، أو شيء من هذا القبيل؟، لكننا ما كنا نتصوَّر أبدًا أن تتطوَّر المأساة لهذا الحد، لكن الذي حدث أعتقد أنه بفعل البوابات الكثيرة التي فُتحت علينا من جهنم كالإعلام الخارجي بأفلامه التي تغرس أفكارًا سيِّئة كالعنف، والانفتاح الشائن كالإباحية المبتذلة.

تقصد الفضائيات.. القنوات المفتوحة..

نعم، الفضائيات التي لا تستطيع حجب تدفق العولمة في ظل وجودها..

من هنا لابد في المقابل أن تواجه كل هذه الأشياء ثقافيًا وفكريًا، ومن خلال التوعية، والحرص، من خلال المسجد، والعودة لنفس الدور القديم في التوجيه بعيدًا عن التديُّن المتشنِّج، في التعليم، ومناهجه، وأيضًا من خلال المدرِّس القدوة.. الأب الموجود أمام أولاده يراعيهم.. المدرسة، الصحافة، الإعلام، الجامعة، كل هذه الأجهزة مطالبة بأن تقوم بدورها، أين أستاذ

الجامعة الذي كنَّا نلتف حوله يعلِّمنا كل شيء ابتداءً من مناهج التعليم.

حتى الحياة نفسها.

حتى السلوك المرتفع، كنت ترى فيه الشموخ، والاعتزاز بالكرامة، ويدخل ليقول الكلمتين، وهو يحسب نفسه نصف إله، أين هذا النموذج، كان المدرس ينتقي الأولاد المتفوِّقين، ٥ أو ٦ فيهم الأمل فيدرِّس لهم بدون مقابل، وكنت تكلِّمَه في أي وقت.. مازلت أتذكَّر أستاذتي كلَّهم سواء في حوش عيسى[١٠] أو في دمنهور، كلُّهم أعرفهم بالاسم؛ لأنهم تركوا علامة فيَّ، أين هذا الآن؟

أكانت دراستك الأولية في حوش عيسى ثم في دمنهور؟

نعم...

لكنك من قرية أفلاطون.

---

[١٠] **حوش عيسى**: مركز بمحافظة البحيرة، يحده غربًا مركز أبو المطامير، وشمالًا مركز أبو حمص، وجنوبًا النوبارية، وشرقًا مركزي الدلنجات، ودمنهور.

وهي قرية في كفر الشيخ.... في نَشَرت مركز قلين.

كان دائمًا ما يُقال إن اسم الأسرة وأحيانًا اسم البلدة التي ينتمي إليها الإنسان يكون له أثر ما في حياته. أنا أتصوَّر أن اسم أفلاطون -كقرية ولدتَ فيها- كان لها دور في حياتك بعد ذلك لتوجُّهاتك الثقافيَّة... أليس كذلك؟

بلى، فالاسم غريب، مع أنني سألت الصديق الأستاذ أنيس منصور عمَّا إذا كان أفلاطون قد أتى إلى مصر أم لا، فأخبرني أنه قد جاء، وعاش بها فترة .... قد لا تكون طويلة...

نعم.. في الإسكندرية.

ثم إن أفلاطون القرية بها أماكن أثرية كثيرة، بها كوم عال مرتفع يقولون إنه يحتوي على آثار، وما زال حتى الآن من الأماكن الأثريَّة هناك... عندما سافرت إلى دلفي مدينة الآلهة الإغريق في اليونان، وشاركت في إعلان قيام الأكاديمية العالمية للشعر، قلت لشاعر كبير من الشعراء اليونانيين: إنني ولدت في قرية اسمها أفلاطون.. فقال إنك لو سألت أي يوناني عن حلمه..

سيقول لك: أريد زيارة الإسكندرية.. لا زيارة أميركا، أو فرنسا. الحلم بالنسبة لليونانيين أن يشاهدوا الإسكندرية؛ لأن هذا الرمز التاريخي العظيم هم يعتزون به جدًّا، وقال لي: في أي زمان عندما يعاني الفرد من ظروف اقتصادية صعبة في اليونان تكون الإسكندرية هي وجهته.. إذن فالهجرة كانت من جنوب أوربا إلى شمال مصر.

انظر كيف وصف عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الإسكندرية عندما دخلها بقوله: «وجدت فيها ٤٠ ألف متجر و٤ آلاف مسرح، و أكثر من ٦٠ ألف يهودي، وبها جاليات من كل أجناس العالم، ومقاهٍ، ومكتبات، وكتب...».

هذا الوصف يبين أن الإسكندرية في هذا الوقت كانت قلب العالم... لم تكن مجرد عاصمة ثانية في مصر، ولكنها كانت عاصمة للكون كثقافة، وكفكر، وكتجمُّع اقتصادي مالي... كانت تجمع رجال الأعمال من العالم كلِّه، كانت أكبر من فرانكفورت، ونيويورك، والعواصم الكبيرة التي نراها الآن.

وهذا ما كان يسمى بعصر المدينة الدولة.

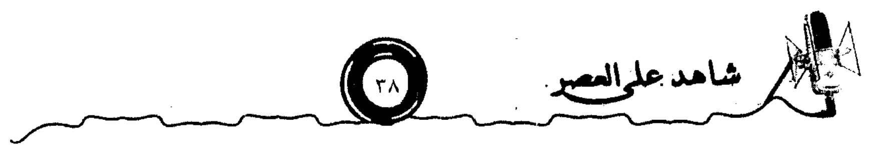
بالضبط.

كأثينا[11] مثلًا...

كانت تتجاوز أثينا في فترة ما؛ فترة نشاطها الاقتصادي، والفكري، ومكتبتها.. إلى آخره، كانت تتجاوز كل هذه المدن، فتلك حكاية.. لكنني بعد ستة أشهر من ميلادي في أفلاطون انتقلتِ الأسرة إلى حوش عيسى في البحيرة، وفي قرية صغيرة على رافد من روافد النيل ترعة اسمها (الحاجر) عشنا هناك، ومازالت لنا قرية باسم الوالد، فقد كان عالمًا أزهريًّا، لم يعمل في وظيفته، ولكنه كان يعمل في الأرض، فعشت طفولتي هناك، ثم انتقلت إلى مدرسة حوش عيسى، ثم إلى عمر مكرم الثانوية في دمنهور.

---

[11] مدينة أثينا: هي عاصمة اليونان، وأكبر مدنها، يعود اسم المدينة لأثينا إلاهة الحكمة الإغريقية، تقع أثينا في جنوب اليونان على سهل أتيكا بين نهري إليسوس، وكيفيسوس، محاطة من ثلاثة جهات بقمم جبال هي هيميتوس، وبينتيليكون، وبارنس، تطل من الجهة الرابعة على خليج زارونيش الواصل للبحر الأبيض المتوسط.



وتلك مدرستي أنا أيضًا.

ثـم بعـد ذلـك آداب القـاهرة ـ قـسم صـحافة ـ وكنـتَ أول دفعتك.. لعل هذا يعيد طـرح المقارنـات التي كنـت تجريهـا الآن في صدر الشهادة عن الحاضر، والماضي، فماذا في مقارناتـك عـن المرأة المـصرية في هـذه التركيبـة الاجتماعيـة، وكيـف اختلـف وصـفها، ومكانتها؟

المرأة وضوابط الأخلاق

رغم أنني أتيت من بيت ريفـي محافظ.. لكـن كانـت في تربيتي حسنة وحيدة وهي أنني أخ على بنات، قد تكون تربية الابن الريفي في وسط بنات -خاصة إذا كان الأب مستنيرًا- توجد نوعًـا من العلاقة الخاصة جدًا مع المرأة.. فأنا لم أشعر بغربـة عنـدما أجـد البنات بجواري في جامعة القاهرة، لأنني أساسًا كنت في المرحلة الابتدائية، والإعدادية، والثانوية في مدرسة مختلطة؛ لأنه لم يكـن في حوش عيسى سوى مدرسة واحدة، صحيح البنات كنَّ قِلَّة، لكننا كنا نعتبرهن كأخواتنا، نحافظ عليهن ولـو أن أحـدنا قـال كلمـة

خارجة أمامهن كنا نضربه، ونعاقبه بأنفسنا، كان يُضرب إكرامًا للبنات، وهن في الأصل لا أخواتنا، ولا أقربائنا، لكن كان هناك نوع من الإحساس العام بالمسؤولية، وفي أثناء خروجنا في رحلة مع بعضنا البعض من أولاد، وبنات؛ كنا نقوم بحمايتهن، والحفاظ عليهن.

كانت توجد أخلاق الفرسان في المجتمع.. كنتم تتعلَّمونها، وتعلِّمونها لبعضكم، وتتوارثونها.

بالضبط، ثم إن الولد الشهم كان أنموذجًا، أما النذل فكان مستبعدًا، فكان يُقال: «هذا الولد ابن ناس، وعلى درجة من الخلق، والتربية»، الأمر ليس له علاقة بالغنى، والفقر؛ لأنه من الممكن أن يكون ابن تاجر، وعنده أرض، ومصانع، وليس بمتأدب ولا على خلق.

ولا برجل -كما يقولون-.

جيل الأساتذة العظام

(()) بالتأكيد، فكنا نلفظه.. في الجامعة كانت أساتذتي محمد مندور [١٢]، عبداللطيف حمزة، شوقي ضيف[١٣]، كنت أذهب إلى الأقسام الأخرى، بين المحاضرات.

عندنا مثلًا محاضرة من التاسعة إلى الحادية عشرة «الدكتور/ محمد مندور»، في قسم اللغة العربية «الدكتور/ شوقي ضيف» له محاضرة من الحادية عشرة إلى الواحدة، وبعد ذلك نذهب إلى «الدكتور/ الخشاب» في قسم الاجتماع، ثم إلى قسم الفلسفة «دكتور/ زكريا إبراهيم»، أو «الدكتور/ زكي نجيب

---

[١٢] محمد مندور (١٩٠٧-١٩٦٥): أديب مصري، صحافي، وناقد أدبي، ولغوي. مارس الصحافة، والتدريس الجامعي.

[١٣] أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف: أديب، وعالم لغوي مصري، والرئيس السابق لمجمع اللغة العربية المصري (١٣ يناير ١٩١٠ - ١٣ مارس ٢٠٠٥).

محمـود[١٤]»، وفي بعـض الأحيـان نـذهب إلى «الـدكتور/ رشـاد رشدي[١٥]»؛ لنعرف لنا كلمتين إنجليزيتين.

نهم للمعرفة.

نهم للمعرفة، ومساندة، أنا أذكر -أقسم بالله هذا حدث في سنة أولى في الجامعة- الدكتور عبداللطيف حمزة عقد لنا ندوة في نادي خريجي الصحافة في شارع قصر النيل للطلبة، لإلقاء الشعر

---

[١٤] زكي نجيب محمود (١ فبراير ١٩٠٥ - ٨ سبتمبر ١٩٩٣م): مفكّر، وفيلسوف مصري.

ولد في قرية ميت الخولي، دمياط، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من لندن، وعُيِّن مستشارًا ثقافيًّا للسفارة المصرية في واشنطن، وعضوًا في المجلس القومي للثقافة، حصل الدكتور زكي نجيب محمود على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٥.

[١٥] رشاد رشدي: كاتب مسرحي مصري ١٩١٢-١٩٨٣ م، ولد بمدينة القاهرة عام ١٩١٢، والتحق بمدرسة شبرا الابتدائية، ثم مدرسة الأمير فاروق الثانوية، ثم جامعة القاهرة حيث نال منها دبلوم معهد التربية العالي، وحصل على دكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة ليدز بإنجلترا.

بعد عودته من إنجلترا عمل مدرِّسًا، ثم عُيِّن ناظرًا لمدرسة النقراشي، ثم رئيسًا لقسم الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة، وظل بهذا المنصب لمدة ٢٢ عامًا. عُيِّن عام ١٩٧٥ رئيس المعهد العالي للفنون المسرحية، ورئيس أكاديمية الفنون، كما عمل رئيسًا لمسرح الحكيم.

فيها.. فقلت يومها بعضًا من شِعري، وبعدها بيومين، أو ثلاثة طلبني الدكتور عبد اللطيف حمزة، وقال لي: «تعال يا فاروق»، فأخذني للدكتور مندور، وقال له: «الولد دا هيبقى شاعر كويِّس».

كنت أجلس مع الدكتور مندور في الصباح قبل المحاضرة، أقول له: يا دكتور، عندي قصيدة جديدة، يقول: اجلس يا جويدة، اجلس وهو يشرب القهوة، فيقول: هذا البيت مكسور.. هذه الكلمة ليس لها معنى.. البحر خرج منك هنا.. ما معنى هذا البيت.. هذه القافية.. ويمسك القصيدة يفصصها لي.. ويقول لي: اذهب فاكتبها مرة ثانية.... فأكتبها، وأعود بها له، ويسمعها للمرة الثانية، والثالثة.

ما كل هذا الاحتضان من جيل الأساتذة العظام للجيل التالي له!

وأي جيل... مازلت طالبًا في السنة الأولى، لم أتخرَّج بعد، ففي مرة ذهبت للدكتور/ شوقي ضيف لأريَه شعري، فيقول لي كلمة -حتى الآن مازلت أتندَّر معه بها - كتب لي على القصائد

كلمة، يقول لي: دعك من الحب الشبابيكي، لم أفهم معناها إلا بعدما جري العمر، واكتشفت أن شوقي ضيف أراد أن يقول أن هناك تجربة حقيقية، وهناك تجربة من بعيد.. وأن الذي يمسك بالنيران غير الذي يشاهدها من بعيد... تلك كانت الجامعة.

إذن، لماذا خرج من بينكم، أو من بين صفوفكم صوت يقول: «نحن جيل بلا أساتذة؟».

لا.. هذا كلام تهريج.. إطلاقًا، أنا مدين لكل إنسان وجَّهني.. ابتداء من والدي -رحمة الله عليه- وانتهاء بأصغر مدرِّس رعاني في مدرسة عمر مكرم الثانوية. حتى الآن وأنا أذكر أسماءهم ..كان الأستاذ مصطفى جعفر، الأستاذ العصار -رحمة الله عليه- لغة عربية.. الأستاذ العصّار بدأت علاقتنا بمشاجرة.. كنت أكثر الفصل تفوُّقًا في اللغة العربية، فاختلفت معه في شيء؛ فطردني من الفصل، خارج الفصل، فخرجت من الفصل لكنني كنت حزينًا جدًّا؛ لأنني كنت متفوقًا في مادته، وأحبها، فجاء في يوم وقاطعني، وجاء مفتش اللغة العربية فوجد مستوى الأولاد في

غاية السوء، لدرجة أن الأستاذ مصطفى أخرج منديلًا، وجلس يجفف في عرقه وأنا لا أجيب، على الرغم من أنني أعرف إجابات كل الأسئلة، فنظر إليَّ، وقال: «إنت مش عارف يا فاروق من اللي سيادة المفتش بيسأله ده»، قلت: «عارف»، وبدأت أجيب، في النحو، وفي اللغة، وفي الشرح، وفي الإنشا، وتكلَّمت، فكان الأمر أشبه بالمنقذ، كأن تضع لاعبًا مع فريق مغلوب؛ ثم تنقلب الموازين فجأة.

من يومها بدأ الأستاذ العصار يهتم بي، وبدأ يقرأ شعري، وفي مرة من المرَّات كتبت موضوعًا في الإنشا للأستاذ مصطفى جعفر، فكان الموضوع عن السد العالي، وكنت مُحرجًا أن أقول له أنني أكتب الشعر، فوجدته يقول لي: «تعال يا جويدة، مين اللي كاتب الشعر اللي في موضوع السد العالي ده»، قلت له: «مش عارف يا أستاذ» قال لي: «دايمًا تقول: وصدق الشاعر حين قال، وتجيب بيتين كده».. قلت له: «أيوه يا أستاذ» قال لي: «مين اللي كاتب الشعر

ده».. قلت له: «بيتهيأ لي أحمد شوقي».. قالي لي: «هو أحمد شوقي كان شاف السد العالي»..

أتذكُر -أيضًا- الأستاذ جورج مدرس الجغرافيا، وكانوا يفتحون أفاق الطلاب على العالم من حولنا، ليس فقط المنهج المقرر، لذلك خرجَتْ من هذه المدرسة جموع من المبدعين في مختلف المجالات.. الأستاذ فاروق جويدة .. الأستاذ فهمي الخولي .. الأستاذ محمد نوح .. الأستاذ محمود الحديني[١٦] ..

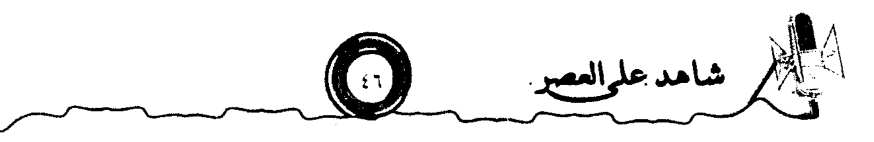
زويل [١٧]، مصطفى الفقي..

هذا المناخ أفرز كل هذه النُّخبة!

---

(١٦) **محمود عبد السلام الحديني**: ولد بدمنهور، وتخرَّج في معهد الفنون المسرحية ١٩٦٢، وفي المعهد العالي للنقد الفني، وعمل في العديد من المسرحيات منها: «المحروسة» «كفر البطيخ» «السبنة» «الدخان» «النار والزيتون» تولَّى رئاسة هيئة المسرح في أواخر التسعينيات، عمل في مسلسلات عديدة منها: «هي والمستحيل» «الحصار» «المشربية» «الليالي الحلمية» «فرسان الله» «السقوط في بئر سبع».

(١٧) **أحمد حسن زويل**، ويلقَّب بكبير العلماء العرب (٢٦ فبراير ١٩٤٦): كيميائي مصري، حاصل على جائزة نوبل في الكيمياء لسنة ١٩٩٩، ولد في دمنهور، وفي سن ٤ سنوات انتقل مع أسرته إلى دسوق، وعاش بها.



بالتأكيد.. كانت الأسرة -أيضًا- لها دور كبير إلى جانب المدرِّس، والمدرسة... طوال عمري ما أخذت درسًا، وفي الثانوية العامة كنت ضعيفًا في اللغة الفرنسيَّة، فقال لي والدي: «فيه مدرس روح خد حصتين عنده، أو تلاتة»، قلت له: لا.. وأخذت أحفظ حتى حُلَّتِ المشكلة، ونجحت، .. فما عرفنا الدروس الخصوصية في أية مادة من المواد، حتى إذا قابلتنا مادة صعبة كنا نحاول حل المشكلة بطريقتنا.. فكل طالب كان عليه أن يحل مشكلته.

العمل بالصحافة

وانتقل معكم هذا الاهتمام بالتحصيل، والمعرفة، والانفتاح الثقافي في الجامعة أيضًا.. خاصة مع هذه النخبة من الأساتذة التي تكلمنا عنهم.

بالطبع.

الشيء الغريب الذي يستوقفني هنا أن بعد تخرُّجك من قسم الصحافة، وكنت أول دفعتك، بعد ذلك التحقت بالأهرام محررًا اقتصاديًا.. هذه مفارقة!

هذه مفارقة في حياتي أنا لا أعرف كيف حدثت.

رغم اهتماماتك الأدبية، والشعرية.

بالضبط.

ونبوغك المبكِّر.

بالضبط.. كنت أكتب الشعر، وقارئًا جيِّدًا.. إلى آخره، لكنني كنت في روز اليوسف، منذ السنة الأولى في الجامعة حتى الليسانس، على الرغم من أنني لم أكن شيوعيًّا.. في الوقت الذي احتضنت فيه روز اليوسف اليسار المصري كلَّه... بكل درجاته... أنا أفرِّق - بالطبع- بين الشيوعيين، واليسار؛ كنت أبحث عن العدالة الاجتماعية، ولم أكن ماركسيًّا، وكان هذا عن وعي؛ لأنني -بالفعل- قرأت في الماركسةالكثير، والكثير.

لكن الذي أثَّر فيَّ جدًّا -في هذا الوقت المبكر- كتاب العقاد[١٨] "أفيون الشعوب" وكانتِ الثورة قدصادرته، لكن لا أعرف كيف حصلت على نسخة.. قرأت "أفيون الشعوب" وقرأت "الماركسية والثورة" لسارتر[١٩] مُترجَمًا، الحقيقة أن الإثنين شرحوا كارل ماركس[٢٠] وفندوه... وكلاهما فيلسوف من الوزن الثقيل.. فالعقاد

---

(١٨) **عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤)**: أديب، ومفكر، وصحفي، وشاعر مصري. ولد في أسوان في ٢٩ شوال ١٣٠٦ هـ - ٢٨ يونيو ١٨٨٩، لأم من أصول كردية، ومن ذرية الصحابي خالد بن الوليد الذين سكنو كردستان العراق، وجده لأمه هو محمد أغا الشريف، ويعزى نسبه إلى النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- في بعض المراجع، بينما يعزوه أحد المراجع إلى العباس بن عبدالمطلب، أسس -بالتعاون مع إبراهيم المازني، وعبد الرحمن شكري- «مدرسة الديوان»، وكانت هذه المدرسة من أنصار التجديد في الشعر، والخروج به عن القالب التقليدي العتيق.

(١٩) **جان-بول شارل ايمارد سارتر**: (٢١ يونيو ١٩٠٥ باريس - ١٥ أبريل ١٩٨٠ باريس) هو فيلسوف، وروائي، وكاتب مسرحي، وناقد أدبي، وناشط سياسي فرنسي؛ بدأ حياته العملية أستاذًا، ودرس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية، وقد ساهم أيضًا في إعطاء الجزائر استقلالها، ووقف أمام حركة بلاده الاستعمارية، وكان قوله المشهور: «السلام هو الحرية».

(٢٠) **كارل ماركس (٥ مايو ١٨١٨ إلى ١٤ مارس ١٨٨٣)**: فيلسوف ألماني، يهودي الأصل، سياسي، وصحفي، ومنظِّر اجتماعي، قلم بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية، وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية؛ لذلك يعتبر مؤسس

بقامة فكرية كبيرة في تاريخنا، وسارتر كمفكر عالمي له ثقله لأن يقيِّم تجربة ماركس..

مع العلم أن الموضة الفكريَّة وقتها هي اليسار، والشيوعية، والماركسية.

لا أعرف كيف خرجت من هذا المأزق.. وأحمد الله على هذا.. صحيح أن هذا فعل بعض الحساسيات بيني -حتى الآن- وبين اليسار؛ عندما كتبت مسرحية -مثلًا- يُقال: ماذا يقصد فاروق جويدة بهذا الكلام؟ عندما أكتب مقالة ما كما كتبت بعض المقالات عن ثورة يوليو والتي أصدرتها في كتاب، جلسوا يتحدثون بكلام شبه ذلك، لكنني أعتقد أن هناك تقدير متبادل، وبعض رموز اليسار، وأعتقد أن فيهم رموزًا عظيمة جدًا، أنا لا

الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي.

شكَّل، وقدَّمَ مع صديقه فريدريك إنجلز ما يُدعى اليوم بالاشتراكية العلمية.

أنسى أبدًا فؤاد مرسي[٢١]، وإسماعيل صبري[٢٢]، كأناس أصحاب فكر ... ولويس عوض[٢٣] أنا لا أضعه في اليسار.. إنما أضعه في

---

[٢١] **الدكتور فؤاد مرسي**: ولد في الإسكندرية في ١٥ يناير ١٩٢٥ من أسرة عمالية، وأنهى دراسته الجامعية بكلية الحقوق في عام ١٩٤٥، كان تفوقه سببًا في تعيينه بوظيفة معاون للنيابة، وإيفاده بعد ذلك لبعثة دراسية في فرنسا حيث حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون في الاقتصاد السياسي.

في ديسمبر ١٩٧٤ عُيِّن أستاذًا غير متفرِّغ في جامعة الإسكندرية، وتوالت كتاباته في مجلة الطليعة، ودراساته العلمية في النقود، والبنوك، والعلاقات الاقتصادية الدولية، والتنمية الاقتصادية، والتخطيط في مجالات المالية، والتجارة الخارجية. رحل في ١٣ سبتمبر ١٩٩٠ إثر حادث سيارة عن عمر يناهز الخامسة والستين.

(٢٢) **إسماعيل صبري**: أحد فرسان الإحياء والبعث في تاريخ الشعر العربي في العصر الحديث، ويُلقب بشيخ الشعراء، ولد سنة ١٨٥٤م في القاهرة، والتحق بمدرسة المبتديان، ثم التجهيزية (الثانوية) حتى عام ١٨٧٤م، ثم ذهب إلى فرنسا لدراسة الحقوق، حصل على الحقوق من فرنسا، ولما عاد إلى مصر انتظم في السلك القضائي، ثم عُيِّن محافظًا للإسكندرية، وأحيل إلى المعاش مبكرًا عام ١٩٠٧م، ورحل سنة ١٩٢٣م.

(٢٣) **لويس عوض**(١٩١٥ – ١٩٩٠): مُفكِّر، ومؤلِّف مصريّ، وُلد في المنيا عام ١٩١٥. نال ليسانس الآداب قسم الإنجليزية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف عام ١٩٣٧، وحصل على ماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كامبردج سنة ١٩٤٣، ودكتوراه في الأدب من جامعة بريستن عام ١٩٥٣، وعندما حصل على هذه الشهادات عمل مدرِّسًا مساعدًا للأدب الإنجليزي، ثم مدرسًا ثم أستاذًا مساعدًا في قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ثم رئيس قسم اللغة الإنجليزية، عام ١٩٥٤م، وقام بالإشراف على القسم الأدبي بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٣م.

منطقة ثانية، كل هذا -بالتأكيد- كان له تأثير بالنسبة لِي أنا شخصيًّا، في هذا الوقت كنت في روز اليوسف، في هذه الفترة من الممكن أن تكون قد زادت قناعتي أكثر بلبراليتي؛ لأنني كنت أرى أن اليسار مضيِّق على نفسه جدًّا، وخاصة إخواننا الشيوعيين، ولذلك كنت أجلس مرة مع الدكتور زكي نجيب محمود في بيته على النيل في الجيزة، فسألته عن مفكر كبير من الوزن الثقيل حقيقة فقلت له: ما رأيك في فلان؟

قال لي: من أكثر مثقفينا فكرًا، ووعيًا، وغزارة، ولكنه يعاني من الحول الفكري.. أعجبتني جدًّا كلمة الحول الفكري.

ففي هذه الفترة قد اقتربت جدًّا من اليسار، وبقدر قربي بقدر ابتعادي.. ثم اشتبكت معهم في فترة روز اليوسف في الشعر، واشتبكت معهم في السياسة، واشتبكت معهم في النكسة، لدرجة أننا كنا ليلة النكسة في روز اليوسف وكان مجموعة من إخواننا – من رموز اليسار- جالسين ومنهم من كان يقول: يبدو أننا اقتربنا من تل أبيب، أو فيها، وأخذوا يرددون هذه الأقاويل حتى عرفنا

الحقيقة؛ فخرجنا في مظاهرات على السفارة الأميركية لنحرقها، مع تنحِّي عبدالناصر، فتركتُ روز اليوسف، وفوجئت بالدكتور خليل سما .. يناديني من المحاضرة، ويقول: أتعمل في الأهرام، قلت له: ماذا؟! قال: أتنوي العمل كمعيد.. أم تعمل في الأهرام؟ إذا كنت تنوي العمل كمعيد نرتِّب لك الأمور، خاصة وأنت الأول على الدفعة، ومن حقك رغم عدم وجود الميزانية للمعيدين، إنما الآن فأنا أرى أن تعمل في الأهرام، لأن الأهرام طلبوا مني أنا أرشِّح لهم واحدًا، وأنا أرى أنك ستكون الإنسان المناسب لذلك.

ماذا كانت الخطوة التالية؟

خرجت من روز اليوسف حزينًا؛ لأنني أحب روز اليوسف، وما زالت، حتى أنها تركت بعض الملامح في توجُّهي الصحفي، وأكسبتني الروح النقدية الموجودة عندي الآن.

مع أن ظروفهم المادية -وقتها- كانت صعبة جدًّا، لم يكن عندهم نقود نهائيًّا، كانت من أصعب الفترات المادية، والمالية في

روز اليوسف، توقف التعيين، وحتى إعطاء النقود للعاملين، ظللت أعمل معهم أربع سنوات، ولم آخذ تعريفة واحدة منهم.

كان الوالد يرسل إليَّ المصروف من البلد؛ فأصرفه على روز اليوسف، وكتبت موضوعات في غاية الخطورة لدرجة أنني كتبت موضوعًا كان سيكلفني حياتي؛ لأن الرئيس جمال عبد الناصر أمر بالتحقيق فيه.

أيُّ موضوع هذا؟

كان موضوعًا عن عملية اختلاس كبيرة جدًّا تمت، وكان الموضوع له علاقة بمسؤول كبير على علاقة باللجنة التنفيذية العليا في الاتحاد الاشتراكي.. كتبت القصة، وأنا أجهل أن الذي كتبت عنه له علاقة بهذا الموضوع، أو أن له من يسانده في اللجنة التنفيذية، وفوجئت في يوم ما بالأستاذ أحمد حمروش يقول لي: إن

مكتب سامي شرف[٢٤] يطلبك، أقسم بالله، ما كنت أعرف من هو سامي شرف في هذا الوقت.

سكرتير، أو مدير مكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

بالضبط، وكان من الناس المهمين، فجاءت سيارة، وأخذتني إلى مكتب الأستاذ حلمي السعيد[٢٥]، وكان رئيس الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.. لم أكن أعلم أن في الجهاز المركزي

---

[٢٤] **سامي شرف:** أحد مؤسسي المخابرات العامة المصرية، وسكرتير الرئيس عبد الناصر الشخصي للمعلومات، ولد في مصر الجديدة عام ١٩٢٩، تلقَّى تعليمه الابتدائي، والثانوي فيها، التحق بالكلية الحربية عام ١٩٤٦، وتخرَّج منها في ١ فبراير عام ١٩٤٩، وتمَّ تعيينه في سلاح المدفعيَّة برتبة الملازم، بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بأيام التحق بالمخابرات الحربية.

[٢٥] **حلمي السعيد:** من الضباط الأحرار، وحارب في فلسطين، وشارك في ثورة يوليو.. فهو ضابط مهندس.. عمل مستشارًا لجمال عبدالناصر في الاقتصاد والتخطيط، وكان معاونًا لعبد الحكيم عامر في اللجنة العليا للسد العالي، وأسَّس الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.. ورأس مؤسسة مصر التي كانت تضم ٦٠ شركة.. وقبل أن يختتم حياته العمليَّة اختاره أنور السادات وزيرًا للكهرباء والسد العالي، وعندما تجرَّأ وقدَّم استقالته من الوزارة وجد نفسه في السجن.. متَّهمًا بقلب نظام الحكم فيما عُرف بقضية ١٥ مايو ١٩٧١ هو، ومعظم رموز العهد الناصري، وقياداته.

للتنظيم والإدارة جزءًا للمعلومات، أو بمعنى أصح تستطيع أن تقول: هو جزء أمن، أو بمعنى أدق: جزء مخابرات؛ فأدخلوني للأستاذ مصطفى العزوني، وكان ضابطًا، وكان رئيس هذه الوحدة فجلست معه.. قال لي: «ما هذا الذي كتبته.. امسك هذا الخطاب».. فوجدت فيه: «السيد رئيس تحرير روز اليوسف.. الخطاب موجه إليَّ ... من سامي شرف إلى روز اليوسف.. بناء على توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر نرجو التحقيق في صحة ما جاء في الموضوع الذي نشره فلان في مجلة روز اليوسف..» كنت وقتها طالبًا في الجامعة، وذهبت بملابسي العادية، ومجموعة الكتب في يدي، ولا أتصوَّر أن الموضوع يصل إلى هذه الدرجة، لكن للأمانة، يبين لك هذا إلى أي مدى كان كل شيء يقرأ، ويؤثِّر..

إذن فهذا هو الجانب الذي تلتقطه من هذه التجربة في شهادتك.

بالتأكيد

إن كل ما كان يكتب كان له تأثير يهتم به، ويتم مشاهدته.

بدليل أن الرجل سُئِل، وتم التحقيق معه، واستردت الدولة الأموال، وكانت ١٤٠ ألف جنيه أي ما يقدر اليوم بـ ١٤ مليون جنيه.

ملفات اقتصادية مهمة

المهم أن العزوني -في هذا اليوم- أشفق عليَّ عندما علم أنني مازلت طالبًا، كان متصوِّرًا أنني صحفي كبير، فقلت له: إنني طالب، وفي الليسانس، والأمر وما فيه أنني أتدرَّب، قال لي: «يا ابني، ومالك ومال..» فقلت له: لكن كل المستندات معي، فأحضرَ اثنين، وجلسوا يسألونني، وكلَّما سألوني أخرج لهم المستندات... وهكذا، وانتهى التحقيق، وقال لي: «إنت مافيش أي كلام عليك خلاص روح.. بس ابقى تعالى لي تاني..» فذهبت إليه بعد ذلك، وقلت له: «أنا أكتب موضوعات عن كذا وكذا» فقال لي: «إحنا بنعمل حاجات عن النشاط الاقتصادي في الشركات، ومش

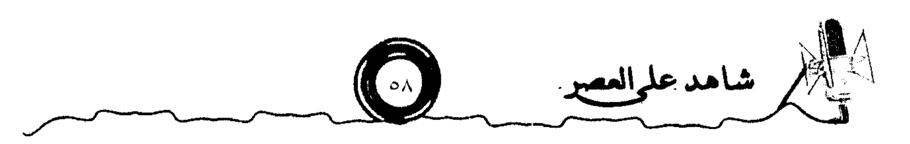
عارف إيه، وبنقيِّم التجارب دي كلَّها من منظور اقتصادي مالي مش أمني بس كجهاز مسؤول عن الناحية الاقتصادية» قلت له: «أهناك مانع من أن أرى هذه الدراسات؛ فقد أكتب عنها موضوعًا، أو أي شيء؟»، فالمسؤول عن هذا الجزء فهم التعليمات فهمًا مخطئًا، ففتح لي كل الملفات.. فتح لي أشياءً خطيرة جدًّا.

حول رجال السلطة، والحكم!

حول كل الوضع الاقتصادي في مصر.. كلِّه.. تقييم شامل سلبًا وإيجابًا، بما فيه جوانب شخصية، فجلست شهرًا أقرأ في هذا الكلام، وأقوم بنقله...

ما هو أهم ما تودُّ إثباته في شهادتك الآن حول حقائقَ هذا الوضع؟

أريد أن أثبت أن القطاع العام كان (نهيبة)، فالدولة مَصَّرتِ المشروعات، وأخذتها من ملّاكها؛ ليظهر أباطرة القطاع العام وهم الذين أصبحوا الملّاك الحقيقيين. بالطبع أنا قرأت هذا الكلام.



في هذا الوقت المبكر!

مازلت في بداية العشرينيات، كنت شابًّا صغيرًا جدًّا، ورأيت كل هذه الكوارث.

لا، أقصد هذا الوقت المبكِّر على تجربة التأميم، والقطاع العام، وغيرها..

كان الأمر في غاية الوضوح على وجود قدر كبير من التسيُّب.. فقد قمت بنقل أجزاء كثيرة جدًّا من تلك الحقائق، وبعد ذلك بسنين أخرجتها في كتابي (أموال مصر كيف ضاعت).

وما استطاع أحد أن يتكلَّم بشأن هذا الكتاب.. غير أنه اختفى من السوق فجأة؛ لأن كل ما كان عندي كان حقائق.

متى صدر؟

صدر سنة ١٩٧٤.

واختفى من السوق!

وفوجئت بالرئيس السادات يرسل إليَّ رسالةً يقول فيها: «أشكرك على كتابك الذي يمثِّل أخطاء ما قبل ثورة مايو.»

إذن، لماذا اختفى؟

هذا ما حدث.. كانت رسالة ظريفة جدًّا، ما زلت محتفظًا بها حتى الآن يقول لي: «الذي يمثل أخطاء ما قبل ثورة مايو..» (يعني ثورة التصحيح).. أي أننا صححنا كل هذا، لكن في الحقيقة أنا ما زلت في سن مبكِّرة أيضًا.. أحيانًا تكمن المشكلة في أن تعرف.. هنا المعرفة تصبح عبئًا ثقيلًا على الإنسان، بقدر ما تعطي للإنسان من وعي، وفكر بقدر ما تترك من هموم.

مقابلات الرؤساء

ولذلك فلك انطباعان مؤكدان من لقاءات قد تكون غير مباشرة مع رئيسين من رؤساء مصر؛ جمال عبد الناصر، وأنور السادات، في محكِّ التجربة الصحفيَّة.

قابلتُ جمال عبد الناصر شخصيًّا.. والأستاذ هيكل[٢٦] هو من قدّمني له.. وقلت هذا الكلام بعد ذلك في قناة فضائية، وأنا أحكي تجربتي، ففوجئت بالأستاذ هيكل يكلِّمني في الصباح،

---

[٢٦] محمد حسنين هيكل: أبرز الصحفيين العرب، والمصريين في القرن العشرين، وربما يكون من الصحفيين العرب القلائل الذين شهدوا، وشاركوا في صياغة السياسة العربية، خصوصًا في مصر.

ويقول لي: «رأيتك أمسِ». بالطبع، الأستاذ هيكل من الأساتذة الذين أحمل له تقديرًا خاصًا، فمعظم الكبار الذين عرفتهم لم أتتلمذ على أيديهم، بل سعيت لهم، فمصطفى أمين[٢٧] كان صديقي، وهذه غرابة أن أجمع بين صداقة مصطفى أمين، وهيكل، وحاولت أن أصالحهم، ويشهد الله أنني قلت: لربما يصلح الابن فيما لا يصلح فيه الكبار، رغم علمي بالهوة الكبيرة الموجودة، فحاولت وكلَّمت الاثنين بصراحة، وكتبت عمودًا قلت فيه إن مصطفى أمين في المستشفى، وكم تمنيت أن يذهب الأستاذ هيكل لزيارته، وعندما أذيعت الحلقات؛ كلمني الأستاذ هيكل بخصوص كلمة لفتت نظره، وهي أنني قلت: إن جمال عبد الناصر أكبر قصة حب فاشلة في حياتي.. فقال لي الأستاذ هيكل: «إنني أتعجب من موقفك من عبد الناصر حتى الآن»، قلت له: هذه نقطة خلاف جوهرية بيني وبينك، وأنت أستاذي، ومعلِّمي.. ولكن الخلاف في الرأي لا

---

[٢٧] مصطفى أمين (٢١ فبراير ١٩١٤ في القاهرة - ١٣ أبريل ١٩٩٧): صحفي مصري.. يعد أحد أهم الكُتَّاب، والصحفيين المصريين.. ولد مصطفى أمين، وتوأمه علي أمين في بيت الأمة في منزل خال والدتهم سعد زغلول.

يفسد للود قضية، أنا في تصوُّري أن جمال عبد الناصر وقع في ثلاثة أخطاء...

الخطأ الأول: أنه لم يقرأ التاريخ، ولو قرأ التاريخ لاستوعب درس محمد علي في نافارين سنة ١٨٢٧[٢٨] عندما تجمَّع الغرب على أسطول مصر، وكسره، ووقف محمد علي على حدود الشام وهو متجه إلى القسطنطينية.

الخطأ الثاني: أنه لم يستوعب درس الخديو إسماعيل عندما ورَّطه الغرب في مسلسل الديون، وأرغمه على الاستقالة، أو التنحِّي، فكان عبد الناصر -بمشروعه- لابد أن يُضْرَبَ.. سواء أكان ضربه عسكريًّا -كما حدث في النكسة- أو اقتصاديًّا كما

---

[٢٨] **معركة نافارين (أو معركة ناوارين)**: هي معركة بحريَّة وقعت في ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧م بين الأسطول العثماني مدعَّمًا بالأسطول المصري بقيادة إبراهيم باشا، وبالأسطول الجزائري من جهة، وأساطيل الحلفاء (بريطانيا، فرنسا وروسيا) من جهة أخرى.

وقعت في خليج نافارين (فيلوس شرقي بيلوبونز) جنوب اليونان الحالية، انهزم العثمانيون هزيمة كبيرة، وقد كانت بداية للضعف في صفوف الإمبراطورية العثمانية، وبالتالي تم تدمير أسطول الجزائر الذي وقف جانب الأسطول العثماني، وسقوط الجزائر سنة ١٨٣٠ تحت الاستعمار الفرنسي، ومرحلة نحو استقلال اليونان من الحكم العثماني.

حاولوا في السد العالي، وفي قناة السويس، وفي عمليات التمصير، وفي القروض... إلخ.

أو في القمح...

فكان لابد من ضربة عسكرية، وهذا ما حدث.

الخطأ الثالث -وهو الأخطر-: ما حدث من عمليات التأمين، وجوانبها الإنسانية، والسجون، والمعتقلات، والقصة الطويلة التي رأيناها.. جمال عبد الناصر قصة حب كبيرة جدًّا في حياتي أنا شخصيًا، وفي حياة جيلي؛ لكن للأسف الشديد انتهت نهاية غير سعيدة.

لا أنكر أنني أحببت جمال عبد الناصر.. لكن لا أنكر -أيضًا- أنني -وجميع جيلي- أولاد عبد الناصر.. ولذلك عندما خرجنا في مظاهرات ٦٨ في الجامعة..

هل شاركت فيها؟

نعم، شاركتُ فيها وضُرِبنا، وكانت أول مرة يخرج فيها الأمن المركزي، ويضربنا، وحاصرونا داخل القاعة الكبرى، كنت

على مشارف التخرج، فلقد تخرَّجت في يوليه ٦٨، والمظاهرات كانت في يناير، وفبراير... أي في بداية ٦٨، لم تكن مظاهرات احتجاج، ولا رفض، بل كانت مظاهرات ألم.. كُسِرنا.. وهذه الكسرة أثَّرت في الجيل بأكمله.

بالتأكيد.

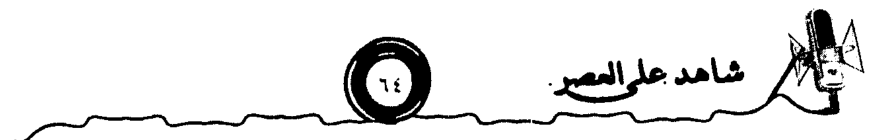
منهم من هاجر، ومن المبدعين من انسحب، ومن المبدعين من دخل في حالة غريبة جدًّا، وأعتقد أنني كنت محظوظًا لخروجي من هذا المأزق نفسيًّا، ولذلك جلست قرابة خمس سنوات لا أكتب الشعر.

آه وهذا الحال صادف كثيرا من المبعدين، وهناك من انتحر

نعم..

وهناك من صمد، وهناك من اعتزل الحياة، وهناك من انسحب من العصر..

بالضبط، ومنهم من سلك طريق التَّديُّن..فوجدت نماذج غريبة الشكل..



حقًا، فلقد كان جرحًا غائرًا..

بالتأكيد.. تلك كانت تجربتي مع جمال عبد الناصر، أما الرئيس السادات -وإن كان أتيح لي أكثر من مرة- لكنني لا أعرفه هكذا؛ فأنا لا أحبذ الاقتراب من السلطة، فقد كنت صديقًا للسيدة جيهان السادات[٢٩]، وما زلت..

علاقة جويدة بجيهان السادات

أي نوع من الاقتراب هنا؟

كانت قارئة جيدة لشعري، وتقابلت معها أكثر من مرة، واحترمتها، وقدَّرتها، وكانت هناك أكثر من فرصة لأن أرى الرئيس السادات، لدرجة أنه في مرة -بمناسبة حصولها على درجة الماجستير- تم تجهيز غداء لأساتذة قسم اللغة العربية

---

(٢٩) **الدكتورة جيهان السادات:** قرينة الرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات، اسمها الحقيقي جيهان رؤوف، كانت أول سيدة في تاريخ الجمهورية المصرية التي تخرج إلى دائرة العمل العام.. كان لجيهان السادات مبادرات اجتماعية، ومشاريع إنمائية، فقد أسست جمعية الوفاء والأمل، وكانت من مشجِّعات تعليم المرأة، وحصولها على حقوقها في المجتمع المصري في ذلك الوقت.. سمَّاها البعض «المرأة الحديدية».

تقصد السيدة/ جيهان السادات..

نعم، وأتيحت لي الفرصة، لكنني اعتذرت، بعد ذلك كانت توجد أكثر من فرصة، لكني كنتُ أفضِّل الابتعاد عن السلطة بقدر الإمكان. على الرغم من أنني في الفترة التي اقتربت فيها من السيدة جيهان السادات كنت صديقًا بدرجة كبيرة للدكتور عبد العزيز حجازي، ود. عبد القادر حاتم[٣٠] وهو رئيس حكومة، وعلاقة صداقة ليست علاقة عادية، وكنت أذهب لهم في

---

[٣٠] **محمد عبد القادر حاتم**: رائد، ووزير الإعلام المصري السابق، هو الذي وضع البنية الأساسية للإعلام المصري في الخمسينات، وأنشأ أول وكالة للأنباء، وأقام ماسبيرو في الستينيات، وبرهن على مصداقية الإعلام المصري في أكتوبر ١٩٧٣، وهو خبير إعلامي مصري ذائع الصيت، ارتبط اسمه بوضع استراتيجية إعلامية لثورة ٢٣ يوليو.

بدأ الدكتور حاتم حياته العامة بعد قيام الثورة؛ فكان مستشار الرئيس جمال عبد الناصر، ومديرًا لمكتبه، ثم تحمَّل مسؤولية مصلحة الاستعلامات، ومنها انتقل للعمل مستشارًا لرئيس الجمهورية حتى وقع عليه اختيار الرئيس ليسند إليه مسؤولية وزارات الإعلام، والثقافة، والسياحة، ثم نائبًا لرئيس الوزراء، ووزيرًا للإعلام .

تقلَّد العديد من المناصب منها عضو اللجنة التنفيذية العليا للتنظيم السياسي، و رئيس مجلس إدارة الأهرام، ووزير الثقافة، والإعلام، والسياحة لأكثر من ١٠ سنوات.

فقد أصبح وزيرًا للثقافة عام ١٩٦٢، وأنشأ وكالة أنباء الشرق الأوسط، وقام بتشييد مبنى ماسبيرو العملاق للتليفزيون المصري، واختير وزيرًا للإعلام عام ١٩٧١.

بيوتهم، وعدد كبير جدًا من الوزراء، كنت صديقًا لعبد الله مرزباني، وكان النائب الأول لرئيس الوزراء في وزارة عزيز صدقي[٣١].

أنا رأيت الأستاذ هيكل عندما أُقيل من الأهرام، وهيكل كان بالنسبة لنا نموذجًا، ورمزًا نعتز به، وبعيدًا عن الخلاف السياسي هو قيمة كبيرة، ويبهرني حتى الآن بمتابعته، وقراءاته، وحرصه

---

[٣١] **عزيز صدقي (يوليو ١٩٢٠ - ٢٥ يناير ٢٠٠٨)**: رئيس وزراء مصر الأسبق.. ولد في مدينة القاهرة عام ١٩٢٠، وتخرَّج في كلية الهندسة جامعة القاهرة (قسم العمارة) عام ١٩٤٤، وحصل على الدكتوراه في التخطيط الإقليمي، والتصنيع من جامعة هارفارد الأمريكية عام ١٩٥٠، وفي عام ١٩٥١ عمل الدكتور عزيز صدقي بوظيفة مدرس بكلية الهندسة، وفي عام ١٩٥٣ عُيِّن مستشارًا فنيًا لرئيس الوزراء، ومديرًا عامًا لمشروع مديرية التحرير.

اختير وزيرًا للصناعة عام ١٩٥٦ ليكون أول وزير صناعة مصري، ثم نائبًا لرئيس الوزراء للصناعة، والثروة المعدنيَّة ١٩٦٤، ثم مستشارًا لرئيس الجمهورية في شؤون الإنتاج ١٩٦٦، وتقلَّد صدقي منصب وزير الصناعة والثروة المعدنية عام ١٩٦٨، وأصبح عضوًا بمجلس الأمة عام ١٩٦٩، وعضوًا بالمجلس الأعلى للدفاع المدني عام ١٩٧٠، وعضوًا باللجنة العليا للإعداد للمعركة ١٩٧٢، و في مارس ١٩٧٢ عيَّنه الرئيس أنور السادات رئيسًا للوزراء، ثم مساعدًا لرئيس الجمهورية ١٩٧٣، وكان له دور كبير في تحقيق النصر في حرب أكتوبر ١٩٧٣، توفي في يوم الجمعة الموافق ٢٥ يناير ٢٠٠٨ عن عمر يناهز ٨٨ عامًا.

على تواجده، وحرصه على أن يقدم الجديد، لا شك تجربة فريدة، فقلت في نفسي: إذا كان هيكل قد أُقيل، فما الذي يمكن أن يحدث بعد ذلك، أول شيء فعلته هو أن اشتريت مكتبًا في البيت، بمجرد أن حصلت على نقود فجهَّزت غرفة مكتب بها مكتبة، ومكتب؛ لأنني كنت أعاني من عقدة أن يكون لدي مكتب «شيك»، فقلت: أحل عقدة بيتي قبل ما أدخل الحياة العامَّة حتى لو جلست في مكتب في يوم من الأيام، وطردوني منه لا أغضب عليه.

فسأجد مكانًا صغيرًا هكذا في بيتي؛ لأكتب فيه، فهي -أولًا، وأخيرًا- كلمة سأكتبها في البيت، أو في مكتب، أو في سجن.. فالمسألة ليس فيها فرق بالنسبة لي، من هذا التاريخ -بأمانة شديدة- حددت موقفي من السُّلطة، ما أحببتها.

ولكن هذا يعكس إحساسًا بعدم الأمان الدائم الذي يلازمك..

لا أنكر هذا، وبالرغم من أنني ما حوكمت، أو دخلت سردابًا سرِّيًّا، أو حوسبت بانتمائي لتيار فكري معين، ولا عانيت من السلطة معاناة مباشرة.. إلا أنه ظل بداخلنا رقيب دائم..

الأمان، والرقيب الداخلي عند جويدة

ولكن الآن وفي هذا العصر الذي انفتحت فيه السبل، وأطلقت الكلمة من عقالها، ولا حظر على رأي.. فكيف يستمر معك هذا الإحساس بعدم الأمان؟

إن هذا الرقيب الداخلي ظل لفترات يخرج كل حين، وحين، مع أنه عندما أخرجت الثلاث مسرحيات نشبتْ مشكلة مع الدولة؛ ففي «الوزير العاشق» شكَّل السيد صفوت الشريف[٣٢] لجنة ترى المسرحية عندما رفضتها الرقابة، وذهب هو ورءاها مع

---

[٣٢] **صفوت الشريف**: أمين عام الحزب الوطني الديمقراطي بمصر، ورئيس مجلس الشوري المصري حاليًا، تولَّى منصب وزير الإعلام المصري لفترة طويلة من الزمن، قبل أن يتولى منصبه الحالي بمجلس الشوري، وهو أحد أفراد مايسمى بـ«الحرس القديم» بالحزب الوطني الديمقراطي الحاكم الذي لديه أغلبية النواب في البرلمان المصري، عرف بقربه من الرئيس مبارك.

تسع وزراء، كان مجلس الوزراء أيامها.. عبد الحميد رضوان[٣٣] - يرحمه الله-، و«دموع على أستار الكعبة» فعلت -أيضًا- مشكلة، و«الخديوي» -أيضًا- لم تُذَعْ، وأحدثت مشكلة كبيرة جدًّا، لكنني في كل هذا قلت ما عندي، وفي مقالاتي في الأهرام -أحيانًا- أتخطَّى الخط الأحمر، وأنا أعلم هذا في أوقات كثيرة، فيقول لي الأستاذ إبراهيم نافع[٣٤] : «يا عم فاروق خِفْ، الله يخلِّيك»، وأحيانًا

---

[٣٣] **محمد عبد الحميد رضوان**: ولد بمركز دار السلام بمحافظة سوهاج، ألحقه والده النائب الوفدي الحاج عبد الحميد رضوان بكلية البكلوريا بتزكية خاصة من الزعيم مصطفى النحاس، أتقن منها اللغة الإنجليزية بطلاقه، وتعلَّم ركوب الخيل بعدما تخرَّج منها عام ١٩٦٦، عاد إلى بلدته عام ١٩٦٩ ليبدأ حياته العملية كمحام، بدأ محمد عبد الحميد رضوان حياته السياسية نائبًا في مجلس الشعب عام ١٩٧٤، ثم أصغر وكيل برلماني لمجلس الشعب إلى أن أصبح وزيرًا للثقافة في سبتمبر عام ١٩٨١ حتى تم اختياره لمنصب وزير الدولة لشئون مجلسي الشعب والشورى في نوفمبر عام ١٩٨٦.

[٣٤] **إبراهيم نافع**: من مواليد ١٢ يناير ١٩٣٤ بمحافظة السويس، مصر، حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٥٦ من جامعة عين شمس، وعمل بعد تخرجه بوكالة رويتر، ثم محرِّرًا بالإذاعة، ثم محرِّرًا اقتصاديًّا بجريدة الجمهورية، ثم رئيسًا لقسم الاقتصاد بجريدة الأهرام، فمساعدًا لرئيس التحرير، فرئيسًا لتحرير الأهرام عام ١٩٧٩، ثم رئيسًا لمجلس الإدارة، ورئيسًا للتحرير بالأهرام عام ١٩٨٤، وقدأجرى أحاديثَ صحفية هامة مع عدد كبير من رؤساء، وملوك العالم، ورؤساء الوزارات، وله العديد من المقالات في تحليل،

يقابلني، ويأخذ الموضوع بضحك، لكن ما بُدِّلت كلمة، ولا حُذف مقال لي.

هذه شهادة..

شهادة أعترف بها بأمانة، على الرغم من أنني أكتب في الأهرام، في أحيان كثيرة أكون أعنف في كتاباتي مما تكتب المعارضة.. لدرجة أن المعارضة -أحيانًا- تأخذ مقالاتي.. ويعاد نشرها؛ ففي أزمة كتاب «وليمة أعشاب البحر»، كتبت مقالًا في الأهرام.. فنشرته جريدة العمل، واستندت إليه.

تعني جريدة الشعب..

نعم، فنشروا المقال، وأشاروا إليه إشارة في الصفحة الأولى، وورطوني مع الحكومة.. كنت أعتقد أن ما حدث كان

وشرح القضايا القوميَّة، والعالمية البارزة في مجال السياسة والاقتصاد، قام بتأليف عدد من الكتب منها رياح الديمقراطية وسنوات الخطر، كما قام أيضًا بترجمة كتاب «شركاء في التنمية». تمت إقالته من منصبه في رئاسة مجلس إدارة، ورئاسة تحرير الأهرام في يوليو ٢٠٠٥، وهو رئيس مجلس إدارة المنظمة العربية لمناهضة التمييز، والتي توجِّه اهتمامها بشكل خاص لفضح كافة صور التمييز، والعنصرية في دولة إسرائيل.

شهادة للديمقراطية، وشهادة أن الأهرام جريدة قويَّة، ومحسوبة على الدولة لأن ينشر وجهة نظر قد تعارض -تمام المعارضة- وجهة نظر الحكومة، وبعدما حدث الخلاف وهدأتِ الأمور.. واتضح لي أن الموضوع كان ينقصه شيء من الحكمة في معالجته.

المشهد الثقافي حاليًا

بهذه الصراحة - أيضًا- نستكمل رصدك للمشهد الثقافي المعاصر الآن..

أنا منزعج مما أراه من المشهد الثقافي الآن..

لماذا؟

لفقد مثقفينا شيئًا من هيبتهم.

تعبير غريب: «فقدوا الهيبة»!! الهيبة التي كانت للعقاد، وطه حسين، والمازني، وغيرهم...

ليست موجودة.. كان الأمر أشبه بحكم القاضي عندما يقول كلمة: «سكوت».

نعم..

فلقد لعبتِ السياسة دورًا في هذا، نرى -الآن- من يُطلق عليه تقدميٌّ.. تأخريٌّ.. دينيٌّ

تصنيفات عدة.

تصنيفات ليس لها أساس من الصواب، كلنا متديِّنون، ومستنيرون، وكلنا يصوم، ويُصلِّي، ونحب الله، والدين، ونحترم هذا الدين، ونقدِّره، ونقرأ للغرب سواء أكانوا مسلمين، أم أقباطًا، لم تكن لدينا عقدة المسيحي والمسلم.

كان أعز أصدقائنا من الأقباط، وكنَّا أبناء مشايخَ فعلَّمونا -رغم هذا- كيف نحب أم كلثوم، وعبد الوهاب، وعلمونا كيف نقرأ كل شيء، أما اليوم، فالمثقف كل مراده السعي وراء الجائزة، أو التكريم، أو منصب، أو مكافأة.. مسألة غير لائقة.. أعي أن من حقي أن يكون لي طموحي الشخصي، من الممكن أن أقول لك: أتمنى أن أصبح رئيس تحرير، لكنه ليس من الضروري أن أنافق الحكومة كي أكون رئيس تحرير، أو أكون مُتحدِّثًا باسم حزب معين، لا.. فأرى أن أي تيار من التيارات يرى أنني أصلح لشيء

ما، فهو يختارني من خلال فكري، ومواقفي، وليس من خلال صفقة ما.

لذلك فالرئيس الراحل أنور السادات لم يذهب بعيدًا حينما وصف المثقفين -آنذاك- وصف الأفنديات.

بالتأكيد، هناك خلل ما في موقف المثقف، ليس المثقف المصري فحسب، بل المثقف العربي، ثم ما نراه من كل تلك الانقسامات.. خمسون سنة من الانقسامات بين يساري، ويميني.

بل تطوَّرت إلى معارك مستمرة.

بالضبط، معركة بين اليسار، واليمين، بين ديني، ولا ديني وبين تقدُّمي، بين سلام، وتطبيع، وبين ضد السلام.

بين ناصريٍّ، وساداتي، كنت سأعقِّب على تحليلك لعبد الناصر، والسادات؛ وأقول: هل ما زلنا نحتاج لأن نحلل في هذه الشخصيات التي امتدت ظلالها على جيلك إلى الآن؟ فكفانا كلامًا عن الماضي، ولنركز على الحاضر، وعلى المستقبل.

لا شك أن قضايانا بالأمس استهلكتنا أكثر من اللازم، إذا نظرت في فترة الرئيس السادات، وما كُتب عن التجربة

الناصرية من تقييم؛ ستجد أنها أخذت أكثر مما أخذه السادات.. وأيضًا ما حدث في الفترة الأخيرة من أحداث.

تقصد ما فعله فيلم «أيام السادات» ..

بالضبط..

الحركة الشعرية المعاصرة

هنا أركِّز على صفة الشعر، فلقد اشتقنا للحديث عن الشعر من الشاعر.. فكيف ترصد-في رؤيتك، وفي شهادتك أيضًا- الحركة الشعرية المعاصرة ما لها، وما عليها؟

إن ما حدث في السياسة حدث نظيره في الشعر.

كيف؟

نفس الانقسامات، فالشعر متفق في شيئين؛ المنبع، والمصب.. فكله يندفع في مجرى النهر، فهناك تيار ينتظم الجميع.. وهذا أجمل ما في منظومة الشعر العربي.. وجود جذوره، ومرجعيَّته.. وأنا أركز دائمًا على المرجعية في كل شيء.. ابتداء بنَسَب الإنسان، وأصله، وانتهاءً بكل جوانب الحياة.. فكانت توجد مرجعية عمرها ثلاثة آلاف عام، شعر، وتاريخ، ومقامات

شعريَّة كبيرة جدًّا، وكانت هذه المرجعية لا تحد من الحركة، بل كنا إذا اختلفنا؛ نرجع إليها.

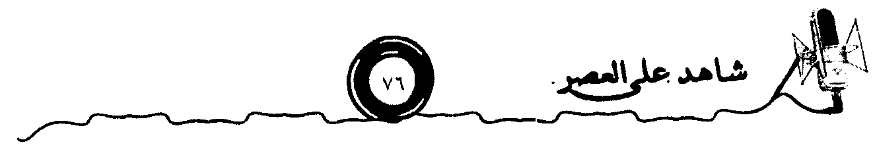
حتى كان الخلاف لتعميق هذه المرجعية، ليس لإزالتها كما حدث في السنوات الأخيرة، جماعة أبوللو، وجماعة الديوان خرجوا على شوقي[٣٥]، والعقاد، وأُسيء لأحمد شوقي، والمازني[٣٦] في كتابهم الديوان.

---

[٣٥] **أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك**: ملقب بأمير الشعراء، شاعر مصري من مواليد القاهرة، يعتبره منير البعلبكي أحد أعظم شعراء العربية في جميع العصور حسبما ذكر ذلك في قاموسه الشهير (قاموس المورد).

ولد لأب ذي أصول كردية من مدينة السليمانية العراقية، وأمُّه تركيَّة الأصل، وكانت جدَّته لأبيه شركسية، وجدَّته لأمه يونانية، دخل مدرسة «المبتديان»، وأنهى الابتدائية، والثانوية بإتمامه الخامسة عشرة من عمره، فالتحق بمدرسة الحقوق، ثم بمدرسة الترجمة، ثم سافر ليدرس الحقوق في فرنسا على نفقة الخديوي توفيق ابن الخديوي إسماعيل، أقام في فرنسا ثلاثة أعوام حصل بعدها على الشهادة النهائية في ١٨ يوليو ١٨٩٣م، نفاه الإنجليز إلى إسبانيا، واختار المعيشة في الأندلس سنة ١٩٢٧م (الأندلس هي إسبانيا حاليًا)، وبقي في المنفى حتى عام١٩٢٠، لُقِّبَ بأمير الشعراء في سنة ١٩٢٧م، وتوفي في ٢٣ أكتوبر ١٩٣٢م، وخلد في إيطاليا بنصب تمثال له في إحدى حدائق روما.

[٣٦] **إبراهيم عبد القادر المازني**: شاعر، وناقد، وصحفي، وكاتب روائي مصري مهم من شعراء العصر الحديث، عرف كواحد من كبار الكُتَّاب في عصره كما عرف بأسلوبه الساخر سواء في الكتابة الأدبية، أو الشعر، واستطاع أن يلمع على الرغم من وجود العديد من



فجماعة أبوللو[٣٧] قد أدخلت مذاقًا جديدًا هو علي محمود طه[٣٨].

وإبراهيم ناجي[٣٩].

الكُتّاب، والشعراء الفطاحل حيث تمكّن من أن يوجد لنفسه مكانًا بجوارهم، على الرغم من اتجاهه المختلف، ومفهومه الجديد للأدب، فقد جمعت ثقافته بين التراث العربي، والأدب الإنجليزي كغيره من شعراء مدرسة الديوان.

(٣٧) **جماعة أبوللو الشعرية**: هي إحدى المدارس الأدبية الهامة في الأدب العربي الحديث. مؤسسها هو الشاعر الكبير أحمد زكي أبو شادي الذي ولد في عام ١٨٩٢م، ضمت شعراء الوجدان في مصر، والعالم العربي، ومن روادها: إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وعلي العناني، وكامل كيلاني، ومحمود عماد، وجميلة العلايلي.

(٣٨) **علي محمود طه**: شاعر مصري من أعلام الرومانسية العربية بجانب جبران خليل جبران، البياتي، السياب، وأمل دنقل، وأحمد زكي أبو شادي، ولد بمدينة المنصورة بمصر في ٣ أغسطس سنة ١٩٠٢، وذلك بمنزل يقع بجوار مسجد النجّار الأثري بسوق الخواجات بالمنصورة، وقد أُطلق على الشارع الذي يقع فيه البيت اسمُ شاعرنا الكبير، ولا يزال البيت على حاله حتي اليوم، وقد التحق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة، وتخرَّج منها سنة ١٩٢٤ حاملًا شهادة تؤهِّله لمزاولة مهنة هندسة المباني، فاشتغل مهندسًا في الحكومة لسنوات طويلة، عُيِّن آخر الأمر وكيلًا لدار الكُتب ليتفرَّغ للشعر، والإبداع، وتوفي عام ١٩٤٩.

(٣٩) **إبراهيم ناجي**: شاعر مصري ولد في ٣١ ديسمبر ١٨٩٨م في حي شُبرا في القاهرة، وتوفي عام ١٩٥٣م، عندما كان في الخامسة والخمسين من العمر، كان طبيبًا، وكان والده مثقفًا، مما ساعده على النجاح في عالم الشعر والأدب، بدأ حياته الشعريَّة حوالي عام ١٩٢٦ عندما بدأ يترجم بعض أشعار الفريد دي موسيه، وتوماس مور شعرًا، وينشرها في السياسة الأسبوعية، وانضم إلى مدرسة أبوللو عام ١٩٣٢م التي أفرزت نخبة من الشعراء

وإبراهيم ناجي، وأبو شادي[٤٠]، وكل هذه المجموعة.

ومحمود حسن إسماعيل[٤١]

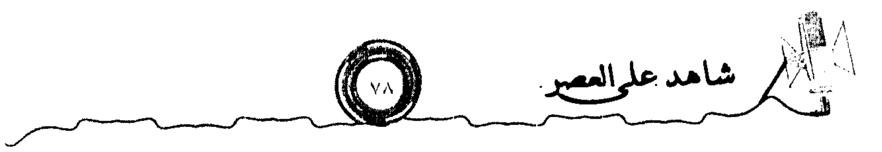
نعم، وإن كان محمود حسن إسماعيل أنا أصنِّفه مدرسة مستقلَّة؛ لأنه ضخم جدًّا، وهو قامة شعرية خطيرة، فهو - في

المصريين، والعرب، استطاعوا تحرير القصيدة العربية الحديثة من الأغلال الكلاسيكية، والخيالات، والإيقاعات المتوارثة، كان ناجي شاعرًا يميل إلى لرومانسية، أي الحب، والوحدانية، كما اشتهر بشعره الوجداني، وكان وكيلًا لمدرسة أبوللو الشعرية، وترأس من بعدها رابطة الأدباء في الأربعينيات من القرن العشرين.

[٤٠] **أحمد زكي أبو شادي (٩ فبراير ١٨٩٢ - ١٢ أبريل ١٩٥٥)**: شاعر، وطبيب مصري مؤسس مدرسة أبوللو الشعرية التي ضمت شعراء الرومانسية في العصر الحديث، وكان يعمل وكيلًا لكلية الطب، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبقي هناك حتى وفاته.

[٤١] **محمود حسن إسماعيل (٢ يوليو ١٩١٠ - ٢٥ أبريل ١٩٧٧)**: هو شاعر مصري معاصر، ولد ببلدة النخيلة بمحافظة أسيوط عام ١٩١٠، تخرج في كلية دار العلوم عام ١٩٣٦.

نبغ في الشعر نبوغًا مبكِّرًا، فقد أصدر ديوانه الأول وهو طالب سنة ١٩٣٥ بعنوان «أغاني الكوخ»، ونال جائزة الدولة في الشعر سنة ١٩٦٥، وله دواوين كثيرة منها «لابد» و«تائهون»، توفي سنة ١٩٧٧ في الكويت، وعاد جثمانه ليدفن في مصر.



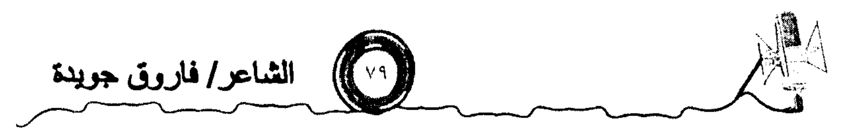
رأيي- أعظم قامة شعرية بعد شوقي.. وهذا الراجل لم يأخذ حقه، فقد ظُلِم حيًّا، وميّتًا.

بعد ذلك تجد صلاح عبد الصبور [٤٢]، والبياتي [٤٣]، وحجازي [٤٤]، وكل أفراد هذه المجموعة صنعوا تيارًا شعريًّا جديدًا،

---

[٤٢] **محمد صلاح الدين عبد الصبور يوسف الحواتكي**: ولد في ٣ مايو ١٩٣١ بمدينة الزقازيق، يُعد صلاح عبد الصبور أحد أهم رواد حركة الشعر الحر العربي، ومن رموز الحداثة العربية المتأثرة بالفكر الغربي، كما يعدُّ واحدًا من الشعراء العرب القلائل الذين أضافوا مساهمة بارزة في التأليف المسرحي. وفي التنظير للشعر الحر.

[٤٣] **عبد الوهَّاب البياتي (١٩٢٦ - ١٩٩٩)**: شاعر عراقي، ولد في بغداد، ويعد واحدًا من أربعة أسهموا في تأسيس مدرسة الشعر العربي الجديد في العراق (رواد الشعر الحر)، وهم على التوالي نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وشاذل طاقه؛ تخرج بشهادة اللغة العربية وآدابها ١٩٥٠ م، واشتغل مدرِّسًا من عام ١٩٥٠ -١٩٥٣م، مارس الصحافة عام ١٩٥٤م مع مجلة الثقافة الجديدة لكنها أغلقت، وفصل عن وظيفته، واعتقل بسبب مواقفه الوطنيّة؛ فسافر إلى سورية، ثم بيروت، ثم القاهرة، وزار الاتحاد السوفييتي ما بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٤ م، واشتغل أستاذًا في جامعة موسكو، ثم باحثًا علميًّا في معهد شعوب آسيا، وزار معظم أقطار أوروبا الشرقية، والغربية؛ وفي سنة ١٩٦٣ م أسقطت عنه الجنسية العراقية، ورجع إلى القاهرة ١٩٦٤ م وأقام فيها إلى عام ١٩٧٠ م، وفي الفترة (١٩٧٠-١٩٨٠)م أقام الشاعر في إسبانيا، وهذه الفترة يمكن تسميتها المرحلة الأسبانية في شعره، صار وكأنه أحد الأدباء الإسبان البارزين، إذ أصبح معروفًا على مستوى رسمي، وشعبي واسع، وترجمت دواوينه إلى الإسبانية، بعد حرب الخليج ١٩٩١م توجه إلى الأردن، وأقام بعمان



هو الشعر التفعيلي بعد ذلك... كنت أجد دائمًا الشعر قادرًا على تجديد نفسه، لكن الذي حدث لم يكن تجديدًا، بل كان تكسيرًا.

تقصد الذي حدث مؤخرًا..

نعم، فدخلت بعد ذلك فيما يُسمَّى بقصيدة النثر، وبهرت تجربة أدونيس[٤٥] جيل عريض.. كنت متبنيها، وكنت أنشر لهم في الأهرام، وكنت متخيِّلًا أنهم بالفعل نبتة جميلة واعدة، لكن كنت أرى القصيدة، فلا أعرف كيف أقرأها..

فترة من الزمن شارك فيها بعدد من الأمسيات، والمؤتمرات، ثم سافر إلى بغداد حيث أقام فيه ٣ أشهر ثم غادرها إلى دمشق، وأقام فيها حتى وفاته عام ١٩٩٩م.

[٤٤] **أحمد عبد المعطي حجازي**: شاعر، وناقد مصري، ولد عام ١٩٣٥ بمدينة تلا محافظة المنوفية بمصر، أسهم في العديد من المؤتمرات الأدبية في كثير من العواصم العربية، ويعد من روَّاد حركة التجديد في الشعر العربي المعاصر، ترجمت مختارات من قصائده إلى الفرنسيَّة، والإنجليزية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية، والألمانية، حصل على جائزة كفافيس اليونانية المصرية عام ١٩٨٩، جائزة الشعر الأفريقي، عام ١٩٩٦ وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ١٩٩٧.

[٤٥] **علي أحمد سعيد إسبر المعروف بـ أدونيس**: شاعر سوري، ولد في ١٩٣٠ بقرية قصابين بمحافظة اللاذقية في سوريا. تبنَّى اسم أدونيس (تيمُّنًا بأسطورة أدونيس الفينيقية)، الذي خرج به على تقاليد التسمية العربية منذ العام ١٩٤٨. متزوج من الأديبة خالدة سعيد، ولهما ابنتان: أرواد، ونينار.

من كثرة الإبهام، والرمز.

والطلْسمة.. فالرمز شيء جميل جدًّا، وشيء عظيم، بالضبط كالسُّكَّر، أو الملح؛ فالملح عندما تضعه بدرجة على الطعام فإنه يكسبه مذاقًا معيَّنًا، أمَّا لو امتنعت عن وضع الملح، أو وضعت الملَّاحة كلَّها على طبق فلن تأكل هذا الطعام.

بالطبع..

فكل شيء بحساب..

فهل بهذا فقد الشعر جمهوره، وأصبح يعاني من أزمة في الشعر المعاصر، وهل فقد الحداثيون جمهورهم؟

هم من فرَّطوا في الجمهور، قالوا: نحن نكتب لأجيال قادمه.. لكن هناك من الشعراء من احتفظ بهذا الجمهور كنزار قبّاني[٤٦]، فلقد بقي حتى آخر لحظة قادرًا على أن يجمع الجمهور حوله..

---

(٤٦) **نزار قباني**: دبلوماسي، شاعر، وناشر سوري، (ولد ٢١ مارس/ آذار ١٩٢٣ دمشق – توفي ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٩٨ لندن)، يعد أحد أبرز، وأشهر الشعراء العرب، وأكثرهم

علاقة جويدة بجمهوره

ولماذا نذهب بعيدًا، فالأستاذ فاروق جويدة بشهادة أصحاب دور النشر من أكثر الكُتَّاب توزيعًا، مع العلم أن دواوين

جدلًا في العصر الحديث، ولد في مدينة دمشق، في حي مئذنة الشحم..أحد أحياء دمشق القديمة.

نال نزار قباني شهادة البكالوريا من الكلية العلمية الوطنية في دمشق، وتخرج في عام ١٩٤٥ في كلية الحقوق في الجامعة السورية، عمل بعد تخرجه كدبلوماسي في وزارة الخارجية السورية كسفير في عدة مدن منها القاهرة، مدريد، ولندن، بيروت؛ وفي عام ١٩٥٩ بعد إتمام الوحدة بين مصر، وسوريا، عُين سكرتيرًا ثانيًا للجمهورية المتحدة في سفارتها بالصين. بقي في الحقل الدبلوماسي إلى أن قدَّم استقالته في العام ١٩٦٦.

انتقل إلى بيروت حيث أسس دار نشر خاصة تحت اسم منشورات نزار قباني، بدأ أولًا بكتابة الشعر التقليدي، ثم انتقل إلى الشعر العمودي، وساهم في تطوير الشعر العربي الحديث إلى حد كبير؛ تناولت كثير من قصائده قضية حرية المرأة، وتناولت دواوينه الأربعة الأولى قصائد رومانسية، وكان ديوان قصائد من نزار قباني الصادر عام ١٩٥٦ نقطة تحول في شعره، حيث تضمن هذا الديوان قصيدة خبز وحشيش وقمر التي انتقدت بشكلٍ لاذع خمول المجتمع العربي، تميز قباني -أيضًا- بنقده السياسي القوي، ومن أشهر قصائده السياسية هوامش على دفتر النكسة ١٩٦٧ مـ التي تناولت هزيمة العرب على أيدي إسرائيل في نكسة حزيران، ومن أهم أعماله حبيبتي ١٩٦١ م، الرسم بالكلمات ١٩٦٦ م، وقصائد حب عربية ١٩٩٣.. توفي نزار قباني في لندن إثر نوبة قلبية في يوم الخميس ٣ محرم ١٤١٩ الموافق ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٩٨ عن عمر يناهز الـ ٧٥. دُفن نزار في دمشق -حسب وصيته- بعد أربعة أيام من وفاته في منطقة باب الصغير.



الشعر هي أقل الكتب توزيعًا، لكن دواوين فاروق جويدة من أكثر الكتب توزيعًا.

كم كنت حريصًا على أن تبقى هذه العلاقة.. فالشاعر عنده دور، ومسؤولية، وهو غير الناس، ففي بعض الأوقات، وأثناء جلوسي في أحد الأماكن أشرب الشاي؛ أجد ولدًا يقرأ لبنت في ديوان من دوواويني، وهو لا يعرفني.. أكون سعيدًا جدًّا، وأنا أسمعه، وهو لا يعرفني شكلًا.. لكنه يقرأ كلماتي.. عندما أرى اليوم هذه الأجيال، التي أثَّرتُ فيها بالتأكيد هذا شيء يحسب لي، لأنني - أولًا- لست شاعر مزادات، إنما أنا شاعر موقف.. شاعر لي موقف، ولي رؤية في قضايا بلدي، ووطني، ولي انتمائي، وجذوري، وحبِّي، وعشقي لتراب هذه الأرض، فحينما أؤصِّل هذه الأشياء؛ فأنا أؤصل قيمة معيَّنة في مقال، أو في قصيدة.. فأنا أقوم بدور، وإذا لم يصل صوتي؛ سأكتب للأجيال القادمة.

تلك هي النقطة المهمَّة.

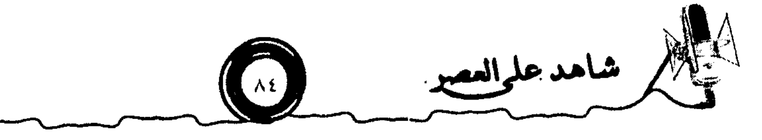
الأجيال القادمة...فأنا لا أنظر لأن أكون واسع الانتشار أو أكون نجمًا، أنا لا أبحث عن النجومية، ولو كنت أبحث عنها؛ لخرجت في التلفاز كل يوم، أنا لا أحبذ الظهور في التلفاز، وأتضايق لو أن أحدًا عرفني في الشارع؛ لأنني في النهاية كلمتي هي رسولي إلى الناس، وأنا أكتفي بهذا الرسول.

هل هذا الضيق نابع من أنك تريد أن تحسَّ بحرِّيتك الكاملة حتى في الشارع؟

نعم، أنا أفرِّق بين نجومية الشكل، ونجومية الشخص.

ونجومية القلم..

ونجومية القلم، أنا أؤمن جدًّا بنجومية الكلمة، ليس من الضروري أن يعرفني الناس شكلًا، أو يتذكَّروني.. لكن أن أبقى في وجدان الناس بهذا التأثير هذا هو ما يعنيني، أن أصل إلى أعماقهم تلك هي قضيَّتي، إنما شكلًا، و اسمًا، وتاريخًا لا يعنيهم، ولا يعنيني على الإطلاق.. أنا أترك هذا الشخص في حاله بعدما ينتهي من قراءتي، ماذا أترك فيه؟



كيف تريد أن تنهي كلامك الآن، إذا تلوت عليهم بعضًا من أبياتك الإبداعية الجميلة؟ أو قصيدة قد تكون شاهدة على عصرها أيضًا؟

لو قرأت سأقرأ جزءًا من قصيدة كنت كتبتها للانتفاضة من عشر سنوات.

في الانتفاضة الأولى.

نعم، أقول:

من عشر سنين مات أبي برصاصة غدر

كفنت أبي في جفن العين

ولم أنسى عنوان القبر

فأبي يتمدد فوق الأرض بطول الوطن، وعرض النهر

بين العينين تنام القدس في فمه.. قرآن الفجر

لمحوه كثيرًا في عكا بين الأطفال يبيع الصبر

في غزة قال لمن رحلوا إن هان الوطن يهون العمر

نبتت أشياء بقبر أبي بعض الزيتون، ومئذنة.. وحديقة زهر

في عين أبي نبتت في الليل.. بحيرة عطر

من قلب أبي نبتت كالمارد.. كتلة صخر

تسَّاقط منها أحجار في لون القهر

الصخرة تَحْمَلُ عند الليل

فتنجب حجرًا عند الفجر

وتنجب آخر عند الظهر

وتنجب ثالث عند العصر

أحجار الصخرة مثل النهر

ومضيت أطوف بقبر أبي يده تمتد، وتحضنني

يهمس في أذني يا ولدي.. أعرفت السر؟!

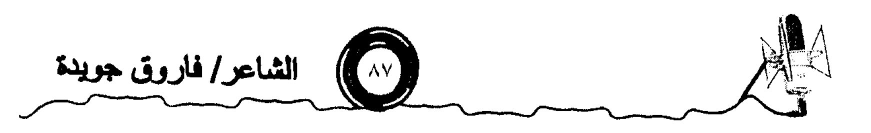
حجر من قبري -يا ولدي- سيكون نهاية عصر القهر

عظيم، أعتقد أنك اخترت القصيدة المناسبة تمامًا لكي تضع المتلقي في هذه الحالة التي كنت تتحدث عنها، أي أنك تترك حالة.

بالتأكيد فأنا أتصوَّر أن الكلمة مسؤولية، وأمانة، بعيدًا عن كل الزخارف ستذهب.. وكل شيء غير حقيقي سيخبو، ولن تبقى إلا الكلمة الصادقة، والموقف المترفِّع عن مصالح الدنيا، ومكاسب الحياة، لأننا في النهاية سوف نُحاسب، وأرجو أن يكون الحساب.

يسيرًا

بل سوف نحاسب من التاريخ، كل كاتب يكتب كلمة سيُحاسب عليها، فإمَّا تحسب له، أو تحسب عليه، وأتمنَّى أن تحسب كلماتي لي، وليس عليَّ.

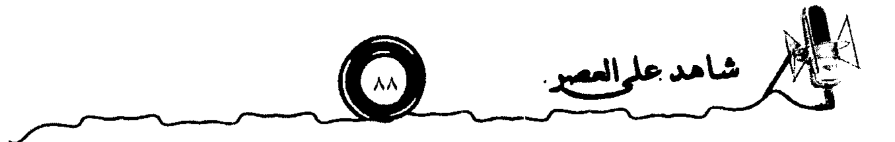


علاقة جويدة بعبد الوهاب

ونحن نتمنى معك كذلك، ونرجو أن يعمل بهذا أصحاب بعض الأقلام الصفراء، أو الصحف الصفراء.

ذكرت بعض الرموز الذين التقيت بهم في حياتك، وذكرت الأستاذ محمد حسنين هيكل على سبيل المثال، والأستاذ مصطفى أمين.. أنا أعلم أنه كانت لك علاقة قوية بالموسيقار الكبير الراحل محمد عبد الوهاب[٤٧]، وقد أفضى إليك بالعديد من أسراره، بل فتح

([٤٧]) **محمد عبد الوهاب (١٣ مارس ١٩٠٢ - ٣ مايو ١٩٩٢)**: أحد أعلام الموسيقى العربية، لُقِّب بموسيقار الأجيال، وارتبط اسمه بالأناشيد الوطنية، ولد في حارة برجوان بحي باب الشعرية بالقاهرة، عمل كملحِّن، ومؤلف موسيقي، وكممثل سينمائي.. بدأ حياته الفنية مطربًا بفرقة فوزي الجزايرلي عام ١٩١٧ م، وفي عام ١٩٢٠م قام بدراسة العود في معهد الموسيقى العربية، بدأ العمل في الإذاعة عام ١٩٣٤ م، وفي السينما عام ١٩٣٣. ارتبط بأمير الشعراء أحمد شوقي، ولحَّن أغاني عديدة لأمير الشعراء، غنى معظمها بصوته، ولحن كليوباترا والجندول من شعر علي محمود طه، وغيرها. لحن للعديد من المغنيين في مصر، والبلاد العربية منهم أم كلثوم، وليلى مراد، و عبد الحليم حافظ، وفيروز، وطلال مدّاح، وأسمهان، ووردة الجزائرية، وفايزة أحمد. تُوفي عبد الوهاب في ٣ مايو ١٩٩٢، وشيعت جنازته في ٥ مايو في جنازة عسكرية.



لك خزانته السرِّيَّة.. فماذا فيها، وما الذي تحب أن تثبته في شهادتك الآن حول الموسيقار عبد الوهاب؟

(●) تعرَّفت على عبد الوهاب عن قرب، وأنا لابد أن أعترف بأني من سعيت لهذا، وكنت محظوظًا بذلك.. أنا من سعيت لنجيب محفوظ[٤٨]، وسعيت لتوفيق الحكيم[٤٩]، وهو من قدَّم لي ديواني الأوَّل

---

(٤٨) نجيب محفوظ: روائي مصري -حائز على جائزة نوبل في الأدب، وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وتُوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦. كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات، واستمر حتى ٢٠٠٤، تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها سمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالم، ومن أشهر أعماله الثلاثية، وأولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها، وحتى وقتٍ قريب، بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدبًا واقعيًا، فإن مواضيع وجودية تظهر فيه.. نجيب محفوظ أكثر أديبٍ عربي حُوِّلت أعماله إلى السينما، والتلفزيون.

تُوفي نجيب محفوظ في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦ إثر قرحة نازفة بعد عشرين يومًا من دخوله مستشفى الشرطة في حي العجوزة في محافظة الجيزة لإصابته بمشاكل في الرئة، والكليتين، وكان قبلها قد دخل المستشفى في يوليو من العام ذاته لإصابته بجرح غائر في الرأس إثر سقوطه في الشارع.

(٤٩) توفيق الحكيم (٩ أكتوبر ١٨٩٨ - ٢٦ يوليو ١٩٨٧): كاتب، وأديب مصري، من رواد الرواية، والكتابة المسرحية العربية، ومن الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث، كانت للطريقة التي استقبل بها الشارع الأدبي العربي نتاجاته الفنية بين اعتباره نجاحًا عظيمًا تارةً، وإخفاقًا كبيرًا تارةً أخرى الأثرَ الأعظم على تبلور خصوصية تأثير أدب،

«أوراق من حديقة أكتوبر».. وسعيت -أيضًا- لمصطفى أمين، وللسنباطي(٥٠)، وعرفته لمدة ١٥ سنة.. فأنا ابنٌ بارٌّ، وأعتقد أن الابن البارّ لا يَنْسَى إطلاقًا أفضال الأب، وأنا لا أنكر أهمية هذا الجيل بالنسبة لمصر.. هذا الجيل هو من أعطى لمصر المهابة، والاحترام، والتقدير.. من هذا المنطلق سعيت لعبد الوهاب.

كنت وقتها صغيرًا في بداية السبعينيات، محمد عبد الوهاب قد رُبِّي في بيت شاعر.. فاختلفنا مرة حول الأهم؛ هل الموسيقى، أم الشعر؟ فقال لي: الشعر. قلت له: لا، بل الموسيقى.

وفكر الحكيم على أجيال متعاقبة من الأدباء، كانت مسرحيته المشهورة أهل الكهف في عام ١٩٣٣ حدثًا هامًّا في الدراما العربية؛ فقد كانت تلك المسرحية بداية لنشوء تيار مسرحي عُرف بالمسرح الذهني، وبالرغم من الإنتاج الغزير للحكيم فإنه لم يكتب إلا عددًا قليلًا من المسرحيات التي يمكن تمثيلها على خشبة المسرح، فمعظم مسرحياته من النوع الذي كُتب ليُقرأ؛ فيكتشف القارئ من خلاله عالمًا من الدلائل، والرموز التي يمكن إسقاطها على الواقع في سهولة؛ لتسهم في تقديم رؤية نقدية للحياة، والمجتمع تتسم بقدر كبير من العمق، والوعي.

(٥٠) رياض السنباطي (١٩٠٦ - ١٩٨١): موسيقار، وملحن مصري، أحد عباقرة الموسيقى العربية، والملك المتفرد بتلحين القصيدة العربية.

وجلسنا نتناقش في هذا الوضوع ليلة كاملة في التليفون.. ساعتين أحاول أن أؤكد له أن الأهم في الفنون هي الموسيقى، وهو يقول: الشعر.

فعندما تقول لعبد الوهاب بيتًا جميلًا من الشعر تراه يتهلّل، ويظهر ذلك في التليفون بصوت عالٍ.. فقد كان ذا ثقافة سمعية، وهذا أعظم ما فيه.. عبد الوهاب لم يكن قارئًا؛ لضعف نظره، لكنه كان يسمع فلانًا وهو يحكي له عن آخر كتاب قرأه، وبعدها بأسبوع تُكلِّم عبد الوهاب؛ فيقول لك: كتاب كذا، وبه كذا.. كل هذا على طريقته هو.

حتى لو أنَّ من يحكي له عبد الوهاب هو نفس الإنسان الذي أخذ منه المعلومات، فتكتشف أن المعلومات دخلت منطقة عبد الوهاب، وخرجت سلعة أخرى مختلفة تمامًا.

لقد كان عبد الوهاب يسعى إلى كل ما هو جديد، ومبهر، وكانت لديه قدرة غريبة على التفاؤل، أتذكَّر أنني في مرة قصصت عليه قصة وهو ذاهب ليخلد إلى النوم، وكانت عن موت الشاعر

بايرول.. كنت أحكي له قصة الفيلم بايرول، وعندما كان يحب زوجة رئيس الوزراء أيامها، أو هي التي كانت تحبُّه، والفيلم معروف في العالم.. ثم رجعتْ إلى البيت مع رئيس الوزراء، فكان الموضوع قد التَأَمَ، فتقول له -وهما على مائدة الغداء-: رأيت اليوم جنازة كبيرة جدًّا كما لو كان الملك قد مات. فقال لها: الملك مات فعلًا.

فقالت له: كيف.. الملك مات، وأنت تتناول معي الطعام الآن.. كيف؟!

قال لها: لا، الملك الحقيقي مات، بايرول مات..

فأغلق عبد الوهاب الهاتف معي، وقال لي: «هل أنت في البيت، وستسهر؟» قلت له: نعم. قال لي: سأطلبك بعد فترة.. فكلمته في اليوم الثاني فردت عليَّ "مدام نهلة" وقالت لي: ماذا قلت لعبد الوهاب أمس، إنه لم ينم طوال الليل.. فقد جلس يستمع للراديو، ولم ينم. قلت لها: كان الموضوع عن موت بايرول. قالت لي: أي شيء تحكيه له عن الموت لا ينام، والغريب أنه كان -دائمًا- يوم

الخميس يتفق مع أصحابه الأطباء أين سيكونوا حتى لو مرض يوم الجمعة يسهل عليه أن يجدهم؟.. والغريب أن عبد الوهاب مات يوم جمعة.

سبحان الله

عبد الوهاب كان تركيبة غريبة، فأوراقه الخاصة التي قد أوصى أن تأتيني تنبأُ عن ذلك.. أمتع الفترات التي قضيتها في حياتي هي التي قضيتها مع عبد الوهاب، أو لأنني عاشق لعبد الوهاب، أحبّه كفنَّان، وكإنسان بعد ذلك.. كما أنني أحب عبد الوهاب الدور؛ لأنه يبدع لآخر لحظة، يعمل من دون لماذا؟ ومن دون أيَّة مقدمات.. انظر إلى هذه الحيويَّة، وهذا الحرص على الدور، والمسؤولية، ففي آخر أوراقه يقول: « أصبحت حزينًا؛ لم أعد أجد ما يطربني».

نفس الكلمة قالها لي رياض السنباطي عندما كنت معه في مرة من المرَّات.. فقال لي: «لم أعد أطير بعد أم كلثوم».

(•) لقد كان هذا الجيل فريد من نوعه، وله تجربته.. وأنا أعترف أنني كنت سعيد الحظ لقربي من هذه النُّخبة التي أفادتني، وثقَّفتني كثيرًا.. هذا الجيل هو الذي تتلمذت على يديه لمدة عشرين سنة، حتى وإن كنت دخلت أكبر الجامعات، وقرأت مئات الكتب، وآلاف الصفحات لم أكن لأستفيد هذه الاستفادة.. هذا الجيل هو الذي شكَّلنا، وهو الذي أعطانا الثِّقة، ومعنى احترام الكلمة، والإحساس بالمسؤولية تجاه الناس، وتجاه الوطن، وتجاه قضايا الوطن، التي يجب أن تكون شاغلنا الأوَّل..

وأنا أعتقد أنك استطعت ببراعة شديدة أن تعتصر رحيق كل هؤلاء العظماء، وأن تقدمه لنا على مدى شهادتك التي نشكرك عليها شكرًا جزيلًا.

(•) شكرًا جزيلًا.

الخاتمة

قدم الشاعر/ فاروق جويدة شهادة ثرية بحق، سلّط فيها الضوء على جوانب عدة من الحياة اليومية سياسية كانت، اجتماعية، أو أدبية في مصر بداية منذ أيام دراسته وهو طالب يسير بملابسه العادية والكتب في يديه –كما يصف نفسه– وإذ به ينخرط في الصحافة وتشاء الأقدار أن تخدم مشواره الأدبي في ظل احتكاكه البسيط الذي أتى بالمصادفة مع السياسة.. من هذه البداية إلى أن وصل بنا إلى ماهو فيه الأن وما تعرض له من مواقف ومتغيرات وشخصيات كان لها عظيم الأثر على نفسه وأدبه.

يأبى القلم إلا أن يضع أجمل وأرقى الألفاظ والعبارات في ظل التعليق على هذه الشهادة التي تشهد بمضمونها على عظمتها وأهميتها بين شهادات شهداء العصر، وهو أجدر بهذا بتعداد كل لفظة نطقت بها شفتاه.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة الناشر	٥
سيرة ذاتية	٧
مؤلفاته	١١
من قصائده المغناة	١٢
نص الحوار	١٣
تجربة مصر الديمقراطية	٢٠
ظاهرة العولمة وتنميط العالم على النمط الأميركي	٢٣
تغيير سلوكيات الشعب المصري	٢٧
المرأة وضوابط الأخلاق	٣٨
جيل الأساتذة العظام	٤٠
العمل بالصحافة	٤٦
ملفات اقتصادية مهمة	٥٦
مقابلات الرؤساء	٥٩

علاقة جويدة بجيهان السادات.................... ٦٤
الأمان والرقيب الداخلي عند جويدة............... ٦٨
المشهد الثقافي حاليًا.......................... ٧١
الحركة الشعرية المعاصرة ٧٤
علاقة جويدة بجمهوره......................... ٨١
علاقة جويدة بعبد الوهاب ٨٧
الخاتمة.. ٩٤
الفهرس.. ٩٥